مراعاةُ المشاعر وجبرُ الخواطر

آياتٌ * أحاديث * رقائق * أخبار

محمد خير رمضان يوسف

المصمم: أسامة أنس يوسف

مراعاةُ المشاعر
وجبرُ الخواطر

آياتٌ * أحاديث * رقائق * أخبار

محمد خير رمضان يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله أحسنِ الخالقين، والصلاة والسلام على النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتابٌ في الأخلاقِ الإسلامية، والمشاعرِ الإنسانية، والحاجاتِ النفسية.

فالإنسان يحملُ بين جنبيهِ نفسًا مفعمة بالمشاعر، وأحاسيسَ قوية منبِّهة، وعواطفَ حاضرةً متفاعلة.

يفرح ويبتهج إذا أُنشِدَ أمامه بيتٌ جميل، أو قيلت له كلمةٌ طيبة، أو ثناءٌ عَطر..

وإذا جوبه بكلمةٍ جارحةٍ حزنَ وانطوى على نفسه، وذابت أحاسيسه!

ورأيتُ إقبالًا من نفسي على هذا الموضوعِ المهمّ الذي لا أعرف أنه أُفرِدَ في كتاب، لأذكِّر به، وأشجِّعَ عليه، وأنبّه أصحابَ العواطفِ الباردة إلى أهميته واعتباره، وعدم التفريط فيه.

وقد لقيتُ من هذا النوع كلماتٍ نابيةً ومعاملةً فظَّة، من كتّابٍ وجلساءَ ومسؤولين وإداريين خاصة، في موطني وفي مهجري، ما كنتُ أنساها شهورًا وسنوات. غفر الله لنا ولهم جميعًا.

ولكن هذا الموضوع خطرَ لي على كِبَر، بعد أن تعبَ الجسد، وارتعشتِ اليد، وكلَّ الذهن، وضعفتِ الهمَّة.. فما استطعتُ أن أصبر عليه أكثر من شهرين، بل أقلّ، وما استطعتُ إيفاءَهُ حقَّهُ، فاكتفيتُ بنماذجَ قصيرة مناسبة لكل موضوع، واقتصرتُ على ذكر أبواب منه دون حصرها...

وكانت كثيرة، فالكلامُ الحسن، وتطييب القلب، ومراعاةُ الحال، وجبرُ الخاطر، أولها، ثم صورٌ وتفريعات شتَّى، مثلُ اصطناع المعروف، وقضاء الحوائج، وتفريج الكُرَب، والمواساة، والعفو والتسامح، وإدخال السرور في النفس..

إنه موضوع أخلاقيٌّ لطيف، محبَّبٌ إلى النفس، يستحقُّ أن تُنشأَ له جمعية خاصة؛ لأهميته العالية في العلاقات الاجتماعية، وحتى الأُسرية، والعملية..

وقد كتبته على نهج السلف، دون تكلُّف، ليكون أقرب إلى النفس، وأنفذَ إلى القلب.

وجمعت فيه بين الدين والأدب والأخبار، من آياتٍ قرآنية وتفسيرها، وأحاديث شريفة وشرحها وما ترشد إليها، ورقائق تناسب صميم الموضوع، وأخبار من هنا وهناك..

وما أوردتهُ من تفسير آياتٍ فمن (الواضح في التفسير) لكاتب هذه السطور.

ولو تعاملَ الناسُ بأخلاقِ الإسلام، لاكتفوا بها في علاقاتهم، ولسادَ الاحترامُ والتقديرُ بينهم، وحُفظت مشاعرهم، وتحققت السعادةُ بينهم.

أدعو الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعل نصيبنا منه مراعاةَ مشاعر الناس، ومساعدتَهم فيما يحتاجون إليه، وجبرَ خواطر المهمومين منهم.

والحمد لله الذي يسَّر هذا، والشكر له على توفيقه وإحسانه.

محمد خير يوسف

إستانبول

٢٥ شوال ١٤٤٦ هـ، ٢٠٢٥ م

الجزاء الحسن

خلق الله الإنسانَ في كَبد، يعني في تعبٍ ومشقَّةٍ ومُكابدة. ففي أطوارِ خَلقهِ شدَّةٌ ومشقَّة، في بطنِ الأُمّ، ثمَّ في زمنِ الإرضاع، فالتربيةِ والتعليم، وتحصيلِ المعاش، وما بين ذلك مِن معاناةِ المِحَنِ والشَّدائدِ والتكاليفِ والصبرِ عليها، فمعاناةِ الموتِ وكربِه، وما بعدَهُ من الحشرِ والحسابِ والجزاء.

وحياتهُ ابتلاءٌ ولو كان في خيرٍ ونعمة، ليَنظرَ اللهُ ما يفعل، فإذا أَغدقَ عليه المالَ نظرَ فيما يَصرفه، وإذا أعطاهُ القوةَ هل يستعملُها في عدلٍ أم في ظلم؟ وإذا أعطاهُ الذكاءَ هل يسخِّرهُ في خيرٍ أم في شرّ؟.. وهكذا.

وقالَ الله تعالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [سورة البقرة: ١٥٥].

أي: سوفَ نختبركم ونمتحنُكم أيُّها المسلمون، لتَظهرَ حقيقةُ إيمانِكم ومدَى ثباتِكم على أمرِ دينِكم، سيصيبُكم شيءٌ من الخوفِ وأنتم تخوضون معاركَ ضدَّ الباطل، وشيءٌ من الجوعِ كالفقر، ونقصٌ من الأموال، كأنْ يصيبَها جائحةٌ أو غرقٌ أو ضَياع، ويُقتَلُ أو يموتُ من

أهلِكم وأحبابِكم، ويقِلُّ شيءٌ من زروعِكم وثمارِكم، ببردٍ أو حرقٍ أو آفةٍ سماويَّة. فإذا صبرتُم ورضيتُم بقضاءِ اللهِ فزتُم وحُزتُم الأجر.

فمن آمنَ واتَّقى جازاهُ الله خيرًا على إيمانهِ وصبره، ومن كفرَ وعصَى جوزيَ شرًّا..

{فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [سورة النازعات: ٣٧ – ٤١].

فالمؤمنُ التقيُّ ينالُ كرامةً عاليةً عند ربِّه. و{هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [سورة الرحمن: ٦٠]: أليسَ جزاءُ مَن أحسنَ العملَ في الدُّنيا أنْ يُحسَنَ إليهِ في الآخرة؟

الكلام الحسن

المطلوبُ من المسلمِ أن يقولَ كلامًا طيبًا إذا تعاملَ مع الناسِ وحادثَهم، ولا يجرحَ مشاعرَهم بكلماتٍ قاسيةٍ وعباراتٍ نابية، فإن هذا يفسدُ ما بينهم من مودَّةٍ ووئام.

قال ربُّنا سبحانه: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً} [سورة الإسراء: ٥٣].

أي: قلْ لعباديَ المؤمنين يتحلَّوا باللِّينِ والحِلمِ في كلامِهم وحوارِهم مع الآخَرين، ويقولوا الكلمةَ الطيِّبة، ويختاروا أحسنَ الكلامِ ومُهَذَّبَه، ليكونَ أوقعَ في النَّفس، وأكثرَ تأثيرًا، وأفضلَ استجابة. والشَّيطانُ يتحيَّنُ الخطأ ليَنفُخَ فيه ويجعلَهُ سببًا للعداوةِ والبغضاءِ بين المؤمنين، وهو ظاهرُ العداوةِ لهم. والكلمةُ الطيِّبةُ تُبعِدهُ عن مجلسِ أصحابِها وأحاديثِهم، فيكونونَ متآلِفين متوادِّين، بعيدين عن همزاتِه ونزَغاتِه.

وفي معرضِ كلامٍ لبني إسرائيلَ وردَ قولهُ تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} [سورة البقرة: ٨٣].

أي: قولوا الكلامَ الطيِّبَ والقولَ الحسَن، في حِلْمٍ وعفوٍ ولِينِ جانب، وخاصَّةً الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر.

قال عطاء: للناسِ كلِّهم، المشركِ وغيره[1].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت (٣٠٨) ومداراة الناس (١٠٦).

ولهذا وردَ من أوصافِ الجنةِ في القرآنِ الكريم: {لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [سورة الغاشية: ١١].

أي: لا تَسمَعُ فيها كلامًا باطلاً، وخصومةً وصخَبًا.

وقالَ أيضًا سبحانه: {لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً} [سورة النبأ: ٣٥].

أي: لا يَسمَعون في الجَنَّةِ كلامًا لا فائدةَ منه، ولا كلامًا كذِبًا فيهِ إثم.

ومن صفاتِ عبادِ اللهِ المؤمنين المتقين، أنهم يمشون على الأرضِ بتُؤدَةٍ وسكينة، فهم متواضِعون هيّنون، غيرُ مستكبِرين ولا متجبّرين، وإذا قالَ لهم السُّفهاءُ كلامًا لا يَليق، لم يقابِلوهم بمثلِه، فعفَوا وصفَحوا، وحَلُمُوا ولم يَجهَلوا، ولم يقولوا إلاّ خيرًا.

قالَ الله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً} [سورة الفرقان: ٦٣].

ومن صفاتهم أيضًا إذا حدَثَ أنْ مرُّوا بالكلامِ الذي لا خيرَ فيه، أعرَضوا عنه، وأكرَموا أنفسَهم عن الخوضِ فيه:

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً} [سورة الفرقان:٧٢].

والموقفُ الحسنُ يدخلُ فيه الكلامُ الحسن، فإنَّ اللسانَ رسولُ القلب. ويبيّنُ الله تعالَى الأثرَ الطيبَ لهذه الخصلةِ في قوله: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [سورة فصلت: ٣٤].

أي: لا تستوي الحسنةُ والسيّئة، ولا السيّئةُ والحسنة، فلا يستوي العلمُ والجهل، ولا العفو والإساءة، ولا الغضبُ والحِلم. وإذا أساءَ إليكَ أحدٌ فادفَعْهُ عنكَ بالإحسانِ إليه، فإذا فعلتَ ذلك خضعَ لكَ خصمُك، وانقلبتِ الحالةُ بينكَ وبينَهُ إلى سكينةٍ بعد هِياج، وإلى هدوءٍ بعد ثوَران، وصارَ كأنَّهُ مِن الأصدقاءِ المقرَّبين إليك، بعدَ أن كانَ شديدَ العداوةِ لك.

وقال أنس بن مالك في معناها: الرجلُ يشتمه أخوه، فيقول: إن كنتَ صادقًا فغفرَ اللهُ لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفرَ اللهُ لك(٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (٤٩).

وهذه الخصلةُ الجليلةُ لا ينالُها كلُّ أحد: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [سورة فصلت: ٣٥].

معناها: لا يفوزُ بهذه الخَصلةِ العظيمة، ولا يَحصُلُ على هذا الخُلقِ السَّمحِ العالي، وهو دفعُ السيِّئةِ بالحسنة، إلاّ الصَّابرون، الذين يَكظِمون غيظَهم، ويتحمَّلونَ المكروهَ منَ النَّاس، ولا يَقدِرُ عليهِ إلاّ مَن كان متَّصِفًا بمكارمِ الأخلاقِ ومعالِيها، وذا نصيبٍ كبيرٍ من خِصالِ الخير.

××× ××× ×××

وفي الحديث الشريف:

عن أبي شريح هانئ بن يزيد أنه قال: يا رسولَ الله، أخبرني بشيءٍ يوجبُ لي الجنة.

قال: "**عليك بحسنِ الكلام، وبذلِ السلام**"[٣].

(٣) صحيح ابن حبان (٤٩٠) وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده قوي رجاله ثقات غير يزيد بن المقدام فهو صدوق. ويأتي في مصادر أخرى بلفظ "عليك بحسن الكلام وبذل الطعام". وهو في السلسلة الصحيحة (٥٧٩/٤).

وعن جابر قال: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ أفضل؟
قال: "**أن يَسلَمَ المسلمونَ من لسانِكَ، ويدِك**"(٤).

خصَّ النبيُّ ﷺ اللسانَ واليد بالذكر مع أن الأذى قد يحصل بغيرهما، إلا أن الإيذاء باليد واللسان أكثر من غيرهما، فاعتُبِر الغالب.

وخُصَّ اللسانُ لأنه يعبِّر عما أضمره الإنسان في نفسه.

وخُصَّت اليدُ بالذكر لأن سلطته الأفعال، وإنما تَظهر باليد إذ بها البطش والقطع والأخذ والمنع والإعطاء ونحوه.

وذكر الحافظ ابن حجر أن الكتابة تشارك اللسان في ذلك، وأن أثرها عظيم، فإنه يمكن أن يؤذي الإنسانُ بكتابتهِ الماضينَ والموجودين والحادثين..

وهذا الذي قاله أخذه من قولهم المشهور: القلم أحدُ اللسانين، بل ربما يترتب على الكتابة من الضرر والنكاية عظيمُ ما يترتب على النطق

---

(٤) رواه أحمد في المسند ٢٣/٢٤٣ قال الشيخ شعيب في تخريجه: حديث صحيح وإسناده قوي. ولفظه عند البخاري من رواية عبدالله بن عمرو: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". صحيح البخاري (١٠).

باللسان، كما يقع ذلك من شهود الزور، ومن دواوين الملوك، ومن الموقِّعين عند القضاء.. [٥].

والمراد: إذا لم يسلم منه المسلمون منه فلا يكون مسلمًا كاملًا.

وإذا قيل: إذا آذى ذميًّا ما يكون حاله؟ لأن الحديث مقيد بالمسلمين!

أجيب بأنه قد ذُكر المسلمون هنا بطريق الغالب، ولأن كفَّ الأذى عن المسلم أشدُّ تأكيدًا لأصلِ الإسلام، ولأن الكفَّارَ بصدد أن يقاتَلوا، وإن كان فيهم من يجب الكفُّ عنه[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام:

"**الكلمةُ الطيبةُ صدقة**"[٧].

قال ابن بطّال رحمه الله: الكلام الطيب مندوب إليه، وهو من جليل أفعال البرّ؛ لأن النبيَّ عليه السلام جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه عليه السلام الكلمةَ الطيبةَ بالصدقةِ بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا

---

(٥) ينظر شرح البخاري للسفيري (المجالس الوعظية) ١/ ٣٧٢.

(٦) عمدة القاري ١/ ١٣٣ مختصرًا.

(٧) جزء من حديث رواه الشيخان: صحيح البخاري (٢٩٨٩)، صحيح مسلم (١٠٠٩).

بها نفس المتصدَّق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يَفرح بها المؤمن ويَحسن موقعُها من قلبه، فاشتبها من هذه الجهة. ألا ترى أنها تُذهب الشحناء، وتُحلي السخيمة، كما قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [سورة فصلت: ٣٤]. والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول، كما يكون بالفعل(٨).

وحُسن المطالبة من الكلام الحسن، الذي فيه احترام للإنسان، وتقدير لمشاعره.

عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما، أن رسولَ الله ﷺ قال:

"**من طلبَ حقًّا فليطلبهُ في عفاف، وافٍ أو غيرِ واف**"(٩).

قال ابن المنذر: في هذا الحديث الأمرُ بحسن المطالبة، وإنْ قبضَ هذا الطالبُ دونَ حقِّه(١٠).

---

(٨) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٢٢٥.

(٩) سنن ابن ماجه (٢٤٢١) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده حسن، صحيح ابن حبان (٥٠٨٠) قال محققه السابق: إسناده قوي، صحيح الجامع (٦٣٨٤).

(١٠) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٢١٠.

××× ××× ×××

وكان التابعيُّ الثقة أبو السَّوَّار العدوي يَعرض له الرجلُ فيشتمه، فيقول له: إن كنتُ كما قلتَ إني إذًا لَرجلُ سوء[١١].

قال عروة بن الزبير رحمه الله:
مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتُك طيبة، وليكن وجهك بَسْطًا، تكنْ أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء[١٢].

وقال وهب بن منبه:
ثلاثٌ من كن فيه أصاب البرّ: سخاوةُ النفس، والصبرُ على الأذى، وطيبُ الكلام[١٣].

(١١) مداراة الناس (٥٠).
(١٢) مداراة الناس (٤٢).
(١٣) الصبر والثواب عليه (٣٨).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما:

البرُّ شيءٌ هيّن، وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّن[١٤].

أدبُ التعريضِ والتغافل

من ذلك ما وردَ في القرآنِ الكريم، عندما اتفقت عائشةُ وحفصةُ رضيَ الله عنهما على أنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إذا دخلَ على أيَّتِهنَّ فلتقُلْ له: إنِّي أجِدُ منكَ ريحَ مَغافير، وهو شبيهٌ بالصَّمغ، فيه حلاوةٌ ولهُ رائحةٌ كريهة، فقالت لهُ إحداهُنَّ ذلك. وكان عليه الصلاةُ والسلامُ شَرِبَ عسلاً عند إحدَى زوجاتِه!

والقصةُ موجودةٌ في كتبِ التفاسير، وبيتُ القصيدِ هنا هو (التعريضُ والتغافل)، الذي يكونُ من الحِلمِ والكلامِ الطيّبِ ومراعاةِ المشاعر، فقد أطْلَعَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ على القصة، فأعلَمَ هو حفصةَ ببعضِ الحديثِ الذي أفشَتْه، ولم يُخبِرْها بهِ كلِّه، تكريمًا لها، حتَّى لا يزدادَ خجَلُها. فلمَّا أخبرَها به، خشيَت أن تكونَ عائشةُ قد فضحَتْها، فقالَت له: مَن أخبرَكَ بهذا؟

---

(١٤) الصمت (٣١٦)، مداراة الناس (١٠٩).

فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: أخبرني العليمُ الذي يَعلَمُ السرَّ وأخفَى، الخبيرُ الذي لا تَخفَى عليهِ خافيَة.

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [سورة التحريم: ٣].

الرفق

ويجتمعُ في الرفقِ مجموعُ أخلاقٍ طيبة، وبه تُحفَظُ المشاعر، ويتجنَّبُ الأذى، وهو نعمَ ما يتعاملُ به المسلمون.

قال رسولُ الله ﷺ: "**إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَه، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانَه**"(١٥).

وقال عليه الصلاةُ والسلام: "**مَن يُحرَمِ الرفقَ يُحرَمِ الخير**"(١٦).

ومما قاله القاضي عياض رحمه الله في أحاديث الرفق:

---

(١٥) صحيح مسلم (٢٥٩٤).

(١٦) صحيح مسلم (٢٥٩٢).

دلَّ أن الرفق خيرٌ كله، ودليلٌ على فضله؛ لأنه سببُ كلِّ خير، وجالبُ كلِّ نفع، بضدِّ الخوف والعنف.

وقد ذكر في الحديث أن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، أي: يتأتَّى به من الأعراض ويَسهل من المطالب به ما لا يتأتَّى بغيره.

وقال في الحديث الآخر: "ما يكونُ في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه"؛ لأن التهورَ ليس من محاسنِ الأخلاق، وهو من مذامّها[١٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: "**حُرِّمَ على النارِ كلُّ هيِّنٍ ليِّنٍ سهلٍ قريبٍ من الناس**"[١٨].

ومما ورد من شمائلهِ وأخلاقهِ العظيمةِ ﷺ قولُ خادمهِ أنس بن مالك رضي الله عنه:

---

(١٧) ينظر إكمال المعلم ٦٤/٨.

(١٨) مسند أحمد (٣٩٣٨) واللفظ له، صحيح ابن حبان (٤٧٠) وقال الشيخ شعيب في الأول: حسن بشواهده، وقال في الآخر: صحيح بشواهده. ورواه الترمذي (٢٤٨٨) وقال: حسن غريب. وصححه في صحيح الجامع (٣١٣٥).

خدمتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنين، فما قالَ لي: أُفّ، ولا: لمَ صنعت؟ ولا: ألَا صنعت[١٩]؟

وفيه تنزيهُ اللسانِ عن الزجرِ والذمّ، واستئلافُ خاطرِ الخادمِ بتركِ معاتبته[٢٠].

الرحمة والشفقة

اليتامى بحاجةٍ إلى رعاية، وشفقةٍ ورحمة، وكان الصحابةُ رضوانُ الله عليهم يتحرَّجون في استعمالِ أموالهم إذا كانوا تحتَ أيديهم، خشيةَ أن يُظلَموا فيها دونَ قصدٍ منهم، فخيَّرهم الله بين عزلِ أموالهم، وبين مخالطتِها بأموالهم، على أن يكونَ هدفَهم الإصلاحُ، فإنه في أمرِ اليتامَى أفضل، ومخالطتُهم فيما يحقِّق لهم الخيرَ أجدَى من اعتزالهم؛ لمصلحتِهم، ورعايةً لمشاعرهم.

كما في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ} [سورة البقرة:٢٢٠].

---

(١٩) صحيح البخاري (٦٠٣٨).

(٢٠) ينظر فتح الباري ١٠/٤٦٠.

××× ××× ×××

والرحمة في المجتمع المسلم موجودة، فالمسلمون متوادُّون متعاونون، يساعد بعضُهم بعضًا، وخاصة عند الحاجة.

ففي حديث النعمان بن بشير قوله ﷺ:

"**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثلِ الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعَى له سائرُ جسدهِ بالسهرِ والحُمَّى**"(٢١).

قال القاضي عياض: فتشبيهُ المؤمنين بالجسد الواحد تمثيلٌ صحيح، وفيه تقريب للفهم، وإظهارٌ للمعاني في الصور المرئية.

وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفةِ بعضِهم بعضًا(٢٢).

(٢١) صحيح البخاري (٦٠١١) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٢٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤٣٩، إكمال المعلم ٥٦/٨.

وقال الصنعاني: كذلك المؤمنون إذا أُصيب أحدُهم اهتمُّوا بأمره وشغلَهم شأنُه، وهو إعلامٌ بأن مِن شأن المؤمنين أن يكونوا بهذه الصفات؛ لأنه تعالى جعلهم إخوة، والأخُ من شأنه أن يُهِمَّه ما ينوبُ أخاه[٢٣].

والرحمةُ أكثرُ ما تكون في المجتمع الإسلامي بالمحتاجين والمتضررين والمعوَّقين.

ومن ذلك اليتامى، الذين فقدوا معيلَهم الأول وهم أطفال..

قال رسولُ الله ﷺ: "**الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ الله، أو القائمِ الليلَ، الصائمِ النهارَ**"[٢٤].

الساعي على الأرملة: الكاسبُ لها، والعامل لقوتهم. والسعي: العمل.

قال القاضي عياض: في هذا الحديث فضل ما للساعي لقوام عيشه وعيش من يقوم به، وابتغاء فضل الله الذي به قوام بدنه لعبادة ربه، وقوام من يمونه ويستر عوراتهم وأجر نفقاتهم، أنه كالمجاهد، وكالصائم

---

(٢٣) التنوير شرح الجامع الصغير ٩/ ٥٣٧.

(٢٤) صحيح البخاري (٥٣٥٣) واللفظ له، (صحيح مسلم (٢٩٨٢).

القائم، وذلك أنه في كلِّ تصرف له في ذلك في طاعة ربِّه وامتثال أمره[٢٥].

وفي قصة حبٍّ نادرة في العهد النبوي، تدخَّل فيها رسولُ ﷺ رحمةً منه بالعاشق، ولكن الطرف الآخر لم يوافق!

عن ابن عباس:

أن زوجَ بَريرة كان عبدًا يقالُ له مُغيث، كأني أنظرُ إليه يطوفُ خلفها يبكي ودموعهُ تسيلُ على لحيته، فقال النبيُّ ﷺ لعباس: "**يا عباس، ألا تعجبُ من حبِّ مُغيثٍ بريرةَ، ومن بُغضِ بريرةَ مُغيثًا**"؟

فقال النبيُّ ﷺ: "**لو راجعتِه**".

قالت: يا رسولَ الله، تأمرني؟

قال: "**إنما أنا أشفع**".

قالت: لا حاجةَ لي فيه[٢٦].

معنى راجعته: أي رجعتِ إليه. وأشفع بمعنى أتوسط.

---

(٢٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٥٣١ باختصار.

(٢٦) صحيح البخاري (٥٢٨٣).

وفيه من الفقه جواز استشفاع العالم والخليفة في الحوائج والرغبة إلى أهلها في الإسعاف لسائلها، وأن ذلك من مكارم الأخلاق.

وأنه لا حرج على مسلم في هوى امرأة مسلمة وحبه لها، ظهر ذلك أو خفي، ولا إثم عليه في ذلك، وإن أفرط، مالم يأتِ محرَّمًا، وذلك أن مغيثًا كان يتبعها بعد ما بانت منه في سكك المدينة، مبديًا لها ما يجده من نفسه من فرط الهوى وشدة الحب.

وأنه لا إثم في ردِّ شفاعة الصالحين(٢٧).

الفقراء والمتضررون

وراعى الله تعالى حقوقَ الفقراءِ والمحتاجين فخصَّصَ لهم مقدارًا معيَّنًا من المالِ على كلِّ مسلمٍ يجده؛ مساعدةً لهم لتحسينِ أحوالهم، وجبرًا لخواطرهم، وتطييبًا لمشاعرهم، وهم ثمانية أصنافٍ من المجتمع، قال الله تعالى:

---

(٢٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ٤٣١، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٥/ ٣٣٩، حاشية السندي على سنن ابن ماجه ١/ ٦٤٠.

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة التوبة: ٦٠].

معناها: إنَّما يكونُ تقسيمُ الزَّكواتِ وتوزيعُها بحكمِ اللهِ على الأصنافِ الثَّمانيةِ التالية:

للفقراءِ المحتاجين الذين لا مالَ لهم ولا عمل.

والمساكينِ الذين لا يجدون ما يَكفيهم.

والسُّعاةِ الذين يُرسَلون ليُحَصِّلوا الزكاةَ من النَّاس.

ولمن تُجمَعُ قلوبُهم ليُسلِموا، أو يَثبُتوا على إسلامِهم.

وفي فكِّ رِقابِ العبيدِ ليُصبِحوا أحراراً، وهم لا يَقدِرونَ على دفعِ ما يَلزَمُهم لأسيادِهم لأجلِ ذلك. وذكرَ بعضُهم أنَّ المقصودَ أُسارَى المسلمين.

والصِّنفُ السادِسُ هم الذين عليهم دَين.

وللغُزاةِ في سبيلِ الله، يُعطَون الزَّكاةَ إذا أرادوا الخروجَ إلى الجهادِ ليستَعينوا بها على أمرِ الغزو، ولو كانوا أغنياء.

وللمُنقطعِ في سفَرِه.

وهذا التقسيمُ واجِبٌ فرَضَهُ الله، وهو عليمٌ بأحوالِ الناسِ ومصالحِهم ومستحقّاتهم، حَكيمٌ فيما يُقسِّمُ ويُقدِّر ويُشرّع.

وقد لا يجد الفقراءُ ما يضحُّون به في العيد، وغيرُهم يضحِّي، وقد جبرَ رسولُ الله ﷺ خاطرَهم بهذا، وضحَّى عمَّن لم يستطعْ من أمته.

فعن جابر بن عبدالله قال: شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ الأضحى بالمصلَّى، فلما قضى خطبته نزل من منبره وأُتي بكبش فذبحهُ رسول الله ﷺ بيده، وقال:

"**باسمِ الله والله أكبر، هذا عني وعمَّن لم يضحِّ من أمتي**"(٢٨).

قال المباركفوري رحمه الله: استدل بهذا الحديث على عدم وجوب الأضحية؛ لأن الظاهر أن تضحيته ﷺ عن أمته تجزئ كل من لم يضح، سواء كان متمكناً من الأضحية أو غيرَ متمكن(٢٩).

---

(٢٨) مسند أحمد (١٤٨٩٣) قال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، سنن أبي داود (٢٨١٠) وقال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن. واللفظ لأبي داود.

(٢٩) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٩٣).

مراعاة حظوظ النفس فيما هو مباح

لما خرجَ طالوتُ مَلِكُ بني إسرائيلَ بجنوده وبمن خرجَ معه من بني إسرائيل، قال لهم: سيَختبركم ربُّكم ليرى طاعتَكم، حيثُ تقطعون نهراً – وكان عذباً ماؤه – فمن شربَ منه فلا يَصحبْني في الحرب، إلاّ ما كان مقدارَ كفِّ اليد، فلا بأسَ به، ومن لم يشربْ فليَصحَبْني في هذا الوجه.

فشرِبَ أكثرُهم، وذُكِرَ أنَّهم كانوا عِطاشاً، وبقيَ القليلُ الذي لم يَشرب، طاعةً لله.

ويبدو أن (الغُرفة) المسموحةَ بها كانت لحظِّ النفس، وتقديرًا لمشاعرها، فإنها تتشوَّقُ خلقةً إلى الشرب ولو تذوقًا، وخاصة بعد جهدٍ وظمأ. والله أعلم[٣٠].

(٣٠) هذا استنتاج من المؤلف، لا من التفاسير.

قال الله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} [سورة البقرة: ٢٤٩].

وكانت الحكمةُ من هذا الابتلاء فرزَ الضعفاء المتذبذبين من الثابتين الأقوياء، فالذين شربوا وارتوَوا ما كانوا ذوي إرادة وطاعة، فما كانوا يَصلُحونَ للحربِ والقتال، بل إنَّ فعلَهُم هذا يُنْبِئُ عن ضَعفٍ وعلَّة، وأنَّهم سيكونون عالةً على بقيَّة الجند، وأنَّهم لضَعفِ إرادتِهم قد يَثُّون الهلعَ وروحَ الهزيمةِ بينهم. ففَصلَهم مَلِكُهم ولم يسمح لهم بالمشاركةِ في الحربِ الكبيرةِ التي تنتظرُهم.

وكان مسموحاً للصائمِ أن يَنكِحَ بعد الإفطارِ ما لم يَنَم، فإذا نامَ حَرُمَ عليهِ ذلك. فشقَّ ذلك على الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم، ووقعَ بعضُهم على نسائه، فنزلتِ الآيةُ الكريمة:

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} [سورة البقرة: ١٨٧].

ففرِحوا فرحاً شديداً.

وهذا من حظِّ النفس، فإن كثيرين لا يصبرون عن الزواج، ولو لم يطلْ بهم الزمن!

ومن حظِّ النفسِ في الحديث الشريف:

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

"**إذا وُضِعَ العَشاءُ وأُقيمتِ الصلاة، فابدؤوا بالعَشاء**"(٣١).

قال الخطابي رحمه الله: إنما أمرَ ﷺ أن يُبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه، فيدخل المصلي في صلاته وهو ساكنُ الجأش، لا تنازعه نفسه شهوةَ الطعام، فيعجِّله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها وإيفاء حقوقها، وكذلك إذا دافعه البول، فإنه يصنع به نحوًا من هذا الصنيع، وهذا إذا كان في الوقت فضلٌ يتسع لذلك، فأما إذا لم يكن فيه متسع له ابتدأ الصلاة، ولم يعرّج على شيء سواها(٣٢).

---

(٣١) صحيح البخاري (٦٧١). كما ورد في صحيح مسلم (٥٦٠) بلفظ: "لا صلاةَ بحضرةِ الطعام، ولا هو يدافعهُ الأخبثان".

(٣٢) معالم السنن ١/ ٤٥.

وبعث رسولُ الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال:

"**يا عثمان، أرغبتَ عن سنتي**"؟

قال: لا والله يا رسولَ الله، ولكن سنَّتَكَ أطلب.

قال: " **فإني أنامُ وأصلّي، وأصومُ وأُفْطِر، وأَنكِحُ النساء، فاتَّقِ الله يا عثمان، فإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لضيفِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لنفسِكَ عليك حقًّا، فصُمْ وأَفطِر، وصلِّ ونَم**"(٣٣).

المراد بالأهل هنا الزوجة(٣٤).

قال ابن رسلان الرملي رحمه الله: فيه إشارة إلى أن النفس وديعة لله عند ابن آدم، وهو مأمور أن يقوم بحقِّها، ومن حقِّها اللطفُ بها، حتى توصِلَ صاحبَها إلى المنزل.

---

(٣٣) سنن أبي داود (١٣٦٩) قال الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٣٤) ينظر بذل المجهود ٥/٦٣٤.

قال الحسن: نفوسُكم مطاياكم إلى ربِّكم، فأصلحوا مطاياكم توصلْكُم إلى ربِّكم. فمن وقَّى نفسَهُ حظَّها من المباح بنيةِ التقوّي بها على تقويتها على أعمال الطاعات، كان مأجورًا في ذلك(٣٥).

حبُّ الذرّية ومراعاة المشاعر

كان نبيُّ الله زكريّا عليه السلامُ كفلَ مريمَ بنتَ عِمران في بيتِ العبادةِ بالقدس، فنشأت مبارَكةً مهيَّأةً لأمرٍ جلَل. وعندما رأى زكريّا فيها الصلاحَ والولاية، والتعبُّدَ والقنوت، والإخلاصَ في الخدمة، تحرَّكَ في قلبهِ حبُّ الذرّيةِ الصَّالحة، لتكونَ امتداداً له ولعملِه، وكان شيخاً كبيراً قد وهنَ منهُ العظم، وزوجُهُ كبيرةٌ عاقِرٌ لا تُنجِب، ومع ذلك لم يَيأس، فاللهُ قادرٌ على كلِّ شيء. فدعا في استكانةٍ وخشوع، وقال بصوتٍ ضعيف: اللهمَّ إني أسألُكَ أن ترزُقَني ولداً صالحاً تَقَرُّ به عيني، وأنت تَسمعُ مناجاتي بين يديك، وتضرُّعي إليك، ورغبتي في الذريَّةِ الطيِّبة. فاستجابَ الله دعاءه، وبشَّرهُ بولدٍ، نبيٍّ صالح..

---

(٣٥) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٦/ ٦٠٢.

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [سورة آل عمران:٣٨-٣٩].

وقبلهُ خليلُ الله إبراهيمُ عليه السلام، رزقهُ الله الذريةَ على الكِبر:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [سورة إبراهيم: ٣٩].

فقد كان عجوزًا مسنًّا، وزوجتهُ عاقرٌ لا تَلِد!

مراعاة الحال

علمَ الله أن آدم، ومعه ذريتهُ من الذكور، لن يستطيعوا العيشَ بدونِ النساء، فخلقَ لأجلِهم إناثًا مِن جنسِهم، يتزوَّجون بهنّ، ليَميلوا إليهنَّ ويتآلَفوا معهنَّ ويَطمئنُّوا، وجعلَ بينهم وبينهنَّ محبَّةً ورأفة، ولو لم تكن بينهم صِلةُ رَحِم. وهذا من آياتِ الله العظيمة.

قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الروم: ٢١].

وتراعَى أحوالُ الناسِ عند الإحسانِ إليهم، مثلُ الفقراء العفيفين الذي لا يُعرَفُ من مظاهرهم أنهم محتاجون، حتى لا تُجرحَ مشاعرُهم، ولئلّا يُعرَفوا.

يقول الله عزَّ وجلّ: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [سورة البقرة: ٢٧٣].

أي أنَّ المهاجرين الذين تَركوا أموالَهم وأهليهِم، وسَكنوا المدينةَ المنوَّرةَ منقطِعينَ إلى اللهِ ورسولِه، يَبتغونَ نُصرةَ الإسلامِ والجهادَ في سبيلِ الله، ولا يَجدون ما يُغنيهم، ولا يَستطيعونَ سَفراً للتجارةِ والتكسُّب، فهم على أُهبَةٍ إذا نُوديَ للجهاد.

ومعَ ما هم فيهِ مِن فقرٍ وحاجة، يَظنُّ مَن لا يَعرِفُ حقيقةَ حالِهم أنَّهم أغنياءُ مَكفيُّون في المعَاش، مِن تَعفُّفِهم في لباسِهم وحالِهم ومَقالِهم،

فيَتجمَّلونَ ظاهراً حتَّى لا يُعرَفوا ولا تَظهرَ حاجتُهم، لكنَّ اللبيبَ ذا البصيرةِ يُدركُ ما وراءَ هذهِ الحال، ويَعرِفُ أنَّ هذا العفافَ يُخفي فقراً واستِكانَة.

وإذا بدا لبعضِهم أن يَطلبوا شيئاً فلا يُلِحّوَ في المسألة، ولا يُكلِّفون الناسَ ما لا يحتاجون إليه. إنَّهم فقراءُ كرامٌ برَرة، ذَوو حياءٍ وتجلُّدٍ وصبر، ودِينٍ قويمٍ وخُلق، فلا تنسَوا هؤلاءِ أيُّها المؤمنون، وإذا أعطيتُموهم شيئاً فليكن ذلك في سرٍّ وتلطُّف، لا يَخدِشُ إباءَهم، ولا يَجرَحُ كرامتَهم.

ومن ذلك المدينُ المعسر، الذي حلَّ أجلُ سدادِ دَينه ولكنه لا يجدُ ما يسدِّد به، ويكون في حرجٍ من الدائن، واستحياءٍ ظاهرٍ عند طلبه منه، وقد أحسنَ إليه في وقت حاجته إليه، فهذا يُنظَرُ في حالهِ فيُعذَرُ ويُرحَم، قال الله تعالى:

{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: ٢٨٠].

معناه: إذا كان المَدينُ مُعسِراً لا يستطيعُ أن يَفيَ دَيْنَه، فيُنظَرُ حتَّى يَيْسَرَ ويَدفعَ إليكم رؤوسَ أموالِكم، لا كما يفعلُ المُرابي الجَشِعُ بوضعِ المزيدِ منَ الرِّبا إذا لم يَدفع!

وإذا تصدَّقتُم بها عليه وسامحتموهُ فإنهُ خيرٌ لكم وأفضل، هذا إذا عَلمتُم الثوابَ الكبيرَ الذي ينتظركم من فضلِ التيسيرِ على المعسِر.

××× ××× ×××

وقد قال رسولُ الله ﷺ:

"**من أنظرَ مُعسرًا، أو وضعَ عنه، أظلَّهُ الله في ظلِّه**"(٣٦).

والمداراة من مراعاة الحال، وتكون لأشخاص وظروف معينة، يعرفها اللبيب المتدبر، والسياسيُّ المحنَّك، والإداريُّ الخبير.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

(٣٦) صحيح مسلم (٣٠٠٦).

استأذنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ فقال: "**ائذَنوا له، بئسَ أخو العشيرة، أو ابنُ العشيرة**".

فلمّا دخلَ ألانَ له الكلام، قلت: يا رسولَ الله، قلتَ الذي قلتَ، ثم ألنتَ له الكلام؟

قال: "**أي عائشة، إن شرَّ الناسِ مَن تركَهُ الناسُ، أو وَدَعَهُ الناسُ، اتِّقاءَ فُحشِه**"(٣٧).

والمقصود به عيينة بن حصن الفزاري، وكان من جفاة الأعراب، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغترَّ به من لا يعرفه. وكان مع ذلك أهوج، فكان مطاعًا في قومه(٣٨). وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دلَّ على ضعف إيمانه، وارتدَّ مع المرتدين، وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رضي الله عنه. ووصفُ النبي له بأنه "بئس أخو العشيرة" من أعلام النبوة، لأنه ظهر له كما وصف. وإنما ألانَ له القول تألفًا ولأمثاله على الإسلام.

---

(٣٧) صحيح البخاري (٦٠٥٤) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٥٩١).

(٣٨) ينظر فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٥٢٩، ١٣/ ١٧١ وإضافات.

قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث مداراة من يُتَّقى فُحشه، وجوازُ غيبةُ الفاسق المعلنُ فسقه، ومن يحتاج الناسُ إلى التحذير منه... ولم يمدحه النبي ﷺ، ولا ذُكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه، إنما تألَّفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام. وأما "بئس ابن العشيرة" أو "رجل العشيرة"، فالمراد بالعشيرة قبيلته، أي: بئس هذا الرجلُ منها(٣٩).

ومن مراعاةِ الحالِ أحوالُ ناسٍ في ظروفٍ معيَّنة، فإنها تؤخَذ في الحسبان، مثلُ رجلٍ جاءَ إلى النبيّ ﷺ، فكلمه، فجعل ترعدُ فرائصه، فخفَّف عنه ما يجد، وقال:

"**هوّنْ عليك، فإني لستُ بملِك، إنما أنا ابنُ امرأةٍ تأكلُ القديد**"(٤٠).

والقديد هو اللحم المملَّح المجفَّف في الشمس.

---

(٣٩) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٤٤.

(٤٠) سنن ابن ماجه (٣٣١٢) قال الشيخ شعيب: صحيح ورجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٣٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ومثلُ النساء، فإنهنَّ أضعفُ جسدًا من الرجال، ولا يُساوَى بينهما في أعمال ومهن.

وقد كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له أنجشة، حسنَ الصوت، فقال له النبي ﷺ:

"**رويدكَ يا أنجشة، لا تَكسرِ القوارير**".

قال قتادة: يعني ضعفة النساء(٤١).

رويدك: ارفق في سَوقك.

القوارير: سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن، تشبيهًا بقارورة الزجاج، لضعفها وإسراع الانكسار إليها.

والمراد به الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحُداء أسرعتْ في المشي واستلذَّته، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك؛ لأن النساء يضعفن عند شدَّة الحركة، ويُخاف ضررهنَّ وسقوطهنّ(٤٢).

---

(٤١) صحيح البخاري (٦٢١١)، صحيح مسلم (٢٣٢٣) واللفظ للأول.

(٤٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨١). وهناك قول آخر للعلماء في سببه، وهو أنه كان في الحداء تشبيب وما إليه، فنُهي عنه خشية من افتتانهن.

وتراعى أحوال أصحاب الإعاقات والنفوس القلقة، فيخاطَبون بما يناسبهم، ويعامَلون بما يليق بهم.

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريكَ امرأةً من أهل الجنة؟

قلت: بلى.

قال: هذه المرأةُ السوداء، أتت النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَع، وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي.

قال: "**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيَك**".

فقالت: أصبر.

فقالت: إني أتكشَّف، فادعُ الله لي ألّا أتكشَّف.

فدعا لها(٤٣).

(٤٣) صحيح البخاري (٥٦٥٢)، صحيح مسلم (٢٥٧٦).

قال ابن حجر: في الحديث فضلُ من يُصرَع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة، لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدَّة(٤٤).

وتراعى أحوال المحتضَر، فإن أنفاسَهُ تَقصر، ويريد أن يودِّعَ الحياة، والله أعلم بما يجول في خاطره وقتها، وهو لا يقدر على التصرف!
ومن السنة أن يذكَّر بكلمة التوحيد ليتلفظ بها، فإن كانت آخرَ كلامه دخل الجنة إن شاء الله. ويُكره الإكثار عليه والموالاة؛ لئلا يضجر وهو في شدَّة وكرب. وإذا نطق بالشهادة مرة فلا يكرر عليه، إلا أن يتكلم بعدها بكلام آخر.
قال رسولُ الله ﷺ: "**لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله**"(٤٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال:

---

(٤٤) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١١٥.
(٤٥) صحيح مسلم (٩١٦).

كان غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النبيَّ ﷺ، فمرض، فأتاهُ النبيُّ ﷺ يعوده، فقعدَ عند رأسه، فقال له: "**أسلِم**".

فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطعْ أبا القاسم ﷺ.

فأسلم، فخرجَ النبي ﷺ وهو يقول: "**الحمدُ لله الذي أنقذَهُ من النار**"(٤٦).

وعن أنس، أن النبي ﷺ دخل على شابٍّ وهو في الموت، فقال: "**كيف تجدك**"؟

قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخافُ ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ: "**لا يجتمعان في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاهُ الله ما يرجو، وآمنَهُ مما يخاف**"(٤٧).

××× ××× ×××

---

(٤٦) صحيح البخاري (١٣٥٦).

(٤٧) سنن الترمذي (٩٨٣) وقال: حديث غريب. وحسن الألباني سنده في السلسلة الصحيحة ٣/٤١.

وسبق إيراد حديث شريف في المداراة، ونورد هنا أخبارًا فيها، وقد قال القسطلاني رحمه الله:

المداراة هي لين الكلام وترك الإغلاظ في القول، وهي من أخلاق المؤمنين.

والفرق بينهما وبين المداهنة المحرمة: أن المداراة الرفقُ بالجاهل في التعليم، والفاسقِ في النهي عن فعله، وتركُ الإغلاظِ عليه حيث لا يُظهِرُ ما هو فيه، والإنكارُ عليه باللطف حتى يُرَدَّ عما هو مرتكبه. والمداهنةُ معاشرة المعلِنِ بالفسق وإظهارُ الرضا بما هو فيه من غير إنكارٍ عليه باللسان ولا بالقلب(٤٨).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنّا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام، وإنَّ قلوبَنا لتَلعنُهم(٤٩)!

والكشر: إظهار الأسنان عند التبسم.

---

(٤٨) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/ ٧٨.

(٤٩) رواه البخاري في صحيحه، أول باب المداراة مع الناس.

وقال محمد بن الحنفية رحمه الله: ليس بحليمٍ من لم يعاشرْ بالمعروفِ مَن لا يجدُ من معاشرته بدًّا، حتى يجعلَ الله له مخرجًا[٥٠].

وفي حال المحتضر:

قال أنس بن سيرين: شهدت أنس بن مالك، وحضره الموت، فجعل يقول: لقّنوني لا إله إلا الله. فلم يزل يقولها حتى قُبض. رحمه الله[٥١].

وقال الإمام الحافظ إبراهيم بن يزيد النخعي:

كانوا يستحبُّون أن يلقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنَّه بربّه[٥٢].

---

(٥٠) مداراة الناس (٢٠).

(٥١) كتاب المحتضرين (١١).

(٥٢) حسن الظن بالله (٣٠)، كتاب المحتضرين (٢٧).

وعن عبدالله البهي قال: لما احتُضر أبو بكر، جاءت عائشة فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يومًا وضاق به الصدرُ

فكشف عن وجهه فقال: ليس كذاك، ولكن قولي: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [سورة ق: ١٩] (٥٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

لما طُعن عمر قلت له: أبشر بالجنة.

فقال: والله لو كان لي الدنيا وما فيها لافتديتُ به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر(٥٤).

ولما حضر عمرَ بنَ عبدالعزيز الموتُ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن الله قد أحيا بك سننًا، وأظهر بك عدلًا.

---

(٥٣) الثبات عند الممات ص ٩٩، كتاب المحتضرين (٣٦).

(٥٤) كتاب المحتضرين (٤٦).

فبكى ثم قال: أليس أُوقَفُ فأُسأَلُ عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو رأيت أني عدلت فيهم لخفت على نفسي ألّا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقِّنها حجَّتَها، فكيف بكثير مما صنعنا؟ قال: ثم فاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيرًا بعدها حتى مات. رحمه الله(٥٥).

ولما احتضر العابد الزاهد محمد بن واسع، جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبدالله، فإنا نرجو لك.
فبكى ثم قال: يُذهَبُ بي إلى النار أو يعفو الله(٥٦).

وفي مراعاة أحوال أخرى:
اشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم. فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟
قالوا: يبكون لدارهم التي اشتُريت.

---

(٥٥) كتاب المحتضرين (٨٩).
(٥٦) كتاب المحتضرين (١٩٩).

قال: يا غلام، ائتهم فأعلمْهُم أن الدار والمال لهم جميعاً[٥٧].

ومن مراعاة الحال حسنُ التصرف في الأوقات العصيبة.

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحِلم؟

قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته يومًا قاعدًا بفناء داره، محتبيًا بحمائل سيفه يحدِّث قومه، حتى أُتي برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك!

قال: فوالله ما حلَّ حبوته، ولا قطع كلامه، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي، بئس ما فعلت، أثمتَ ربَّك، وقطعتَ رحمك، وقتلت ابنَ عمِّك، ورميت نفسك بسهمك.

ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوارِ أخاك، وحلَّ كتاف ابنِ عمك، وسُقْ إلى أمك مئة ناقة ديةَ ابنِها فإنها غريبة[٥٨].

---

(٥٧) المستجاد من فعلات الأجواد.

(٥٨) ا تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/ ٦٣.

منازل الناس وأصحاب الهيئات

ومن مراعاةِ الحال: رحمة الصغير، وتوقيرُ الكبير.

قال عليه الصلاة والسلام: "**ليسَ منّا مَن لم يرحمْ صغيرَنا، ويعرفْ حقَّ كبيرِنا**"(٥٩).

الصغيرُ بأن يلاطفه ويرفق به ويعينه على الخير، والكبيرُ بأن يعظِّمه ويوقِّره.

فليس منا: أي على طريقتنا؛ لأن سبيلَنا رحمةُ الصغير، وتوقيرُ الكبير(٦٠).

ومن منازل الناس التي بيَّنها رسولُ الله ﷺ لإكرامهم، قوله عليه الصلاة والسلام:

"**إنَّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطانِ المقسِطِ**"(٦١).

---

(٥٩) مسند أحمد (٦٧٣٣) قال محققوه: حديث صحيح، المستدرك للحاكم (٢٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٦٠) ينظر التنوير شرح الجامع الصغير ٤/ ٥٨٧.

(٦١) سنن أبي داود (٤٨٤٣). قال محققه الشيخ شعيب: إسناده حسن.

أي: من تعظيمِ الله تعالى وتبجيلهِ تعظيمُ الشيخ الكبير الذي أمضى عمره في الإسلام والإيمان حتى ابيضَّت شيبته في الإيمان، فتعظيمه وتوقيره في المجالس، وتقديمه في الصلاة على غيره، وفي اللحد في القبر والرفق به والشفقة عليه، من كمال تعظيم الله؛ لحرمتهِ عند الله تعالى.

وحاملِ القرآن: أي قارئه، سمّاه حاملًا له لما يجد من مشقة في حفظه من الدرس، وفي تفهمه وتدبره والعمل بما فيه، فهو حامل لمشاقَّ كثيرة.

غيرِ الغالي فيه: يعني المتجاوزِ للحدِّ في التشدُّدِ في العمل به، وتتبعِ ما خفيَ منه واشتبه من معانيه، وانكشف عن علله الدقيقة التي لا يصل إليها عقله بما يبتدعه في الدين؛ ليَضلَّ ويُضلَّ غيره، ويجاوزَ حدود قراءته ومخارجَ حروفه ومدوده.

والجافي عنه: التاركُ له، البعيدُ عن تلاوته والعملِ بما فيه... لا سيَّما من أعرض عنه بكثرة النوم والبطالة، والإقبالِ على الدنيا والشهوات، بل ينبغي لحامل القرآن أن يُعرفَ بِلَيلهِ إذ الناسُ نائمون، وبنهارهِ إذ الناس مُفطِرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، فما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ بأحكامه وهو لا يفهم ما يقول!

والسلطانُ المقسط: العادلُ في حكمه بين رعيته[٦٢].

ويُراعَى أصحابُ الهيئات (الشخصيات المحترمة، كالوجهاء والأجواد والمقصودين بالحاجات) عند معاقبتهم؛ تقديرًا لجنابهم، ومراعاة لمكانتهم.

قال عليه الصلاة والسلام: "**أقيلوا ذوي الهيئاتِ عثراتِهم إلا الحدود**"[٦٣].

ذوو الهيئات: أهل المروءة والخلال الحميدة، التي تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنَفة أن يَرضوا لأنفسهم بنسبة الشرِّ إليها.

عثراتهم: أي ارفعوا عنهم العقوبة على زلّاتهم، فلا تؤاخذوهم بها.

إلا الحدود إذا بَلغتِ الإمام، وإلّا حقوقَ الآدمي، فإن كلًّا منهما يقام، فالمأمورُ بالعفو عنه هفوةٌ أو زلَّةٌ لا حدَّ فيها، وهي من حقوق الحق. والخطاب للأئمة ومن في معناهم[٦٤].

---

(٦٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ١٨/ ٥٤٦ مختصرًا.

(٦٣) سنن أبي داود (٤٣٧٥) قال محققه الشيخ شعيب: حديث جيد بطرقه وشواهده، وكذا جاء تخريجه في مسند أحمد (٢٥٤٧٤).

(٦٤) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٩٧.

وقال الشافعي في تفسير الهيئة: من لم يظهر منه ريبة.

قال الخطابي رحمه الله: فيه دليل على أن الإمام مخيَّر في التعزير، إن شاء عزَّر وإن شاء ترك، ولو كان التعزير واجبًا كالحدِّ لكان ذو الهيئة وغيرهُ في ذلك سواء(٦٥).

الضعفاء

الضعفاءُ في الإسلامِ يُكرَمون ولا يُبعَدون، وهم أفضلُ من ألفِ وجيهٍ أو ثريٍّ كافر، فإن ذلكم يؤمنون بالله ويذكرونه، ولايؤذون خَلقه، وهؤلاء يعادون الله وأهلَه، ويستكبرون عليهم.

ولذلك قالَ الكافرون المستكبِرون لنبيِّ اللهِ نوح: أنؤمنُ برسالتِكَ وقد اتَّبعكَ أدنَى فئاتِ المجتمعِ منَ الضَّعفَةِ والفقراء، فنتساوَى معهم بذلك؟! قالَ لهم نوحٌ عليهِ السَّلام: ليس عليَّ مِن مستوَى مكانتِهم شيء، إنما كُلِّفتُ أن أدعوَهم إلى اللهِ فاستجابوا، وأنا أقبلُ منهم تصديقَهم، ولو كانوا على أيِّ حالٍ من المعيشة، ومِن أيِّ طبقةٍ في المجتمع.

---

(٦٥) معالم السنن ٣/ ٣٠٠.

وما محاسبتُهم على ما يعملون إلاّ على ربِّ العالَمين، فهو الذي يتولَّى سرائرَهم، ولو شعرتُم بشيءٍ مِن هذا لعلمتُم أنه الحقّ، ولما عِبتُموهم على إيمانِهم وطاعتِهم.

ولن أطردَ عبادَ اللهِ المؤمنين، سواءٌ آمنتُم أم لم تؤمِنوا.

قالَ ربُّنا العليمُ الحكيم: {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ. قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ}. [سورة الشعراء: ١١٤].

وقال الله تعالَى لنبيِّهِ محمدٍ ﷺ: {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنعام: ٥٢].

أي: لا تُبعِدْ عنك المؤمنين الذين يَعبدون ربَّهم ويَذكرونَهُ ويسألونَهُ صباحَ مساء، يَبتغون بذلكَ وجهَهُ الكريم، في إخلاصٍ تامّ، لا رياءً ولا سُمعة، بل قرّبهم إليك وجالِسهم، فليسَ عليك شيءٌ مِن حسابِ أعمالِهم وأرزاقِهم، وكذلك ليسَ عليهم شيءٌ مِن حسابِك، فإذا أبعدتَهم عنكَ كنتَ متجاوِزاً الحقّ.

والمرادُ انتفاءُ الطَّرد. وهو تنبيهٌ ودرسٌ للمسلِمين.

وأتَى الصَّحابيُّ الأعمَى ابنُ أُمِّ مَكتومٍ إلى النبيّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، فجعلَ يقولُ له: يا رسولَ اللهِ أرشِدْني، وعندَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ رجلٌ من عظماءِ المشركين، فجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعرِضُ عنهُ ويُقبِلُ على الآخَر، وقد طَمِعَ في إسلامِه...

فعاتبَهُ ربُّهُ على هذا، ونزلت: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ. أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ. فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ. وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ. وَهُوَ يَخْشَىٰ. فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ} [سورة عبس: ١-١٠].

وتفسيرها:

عبسَ النبيُّ ﷺ وأعرَضَ بوجهِه،

لمَّا جاءَهُ الصَّحابيُّ الأعمَى ابنُ أُمِّ مَكتوم.

وما يُدريك أيُّها النبيّ، فلعلَّهُ يتطهَّرُ من الذُّنوبِ بما يتعلَّمهُ منك،

أو يتَّعِظُ فتَنفَعَهُ الموعظةُ ويَبتعِدَ عن المحرَّمات.

أمَّا مَن استَغنَى بالكفرِ أو الغِنَى عمَّا عندكَ منَ العلمِ والإيمان،

فأنتَ تتعَرَّضُ له وتُقبِلُ عليه؟

ولستَ مطالَبًا بأنْ يؤمِنَ ويَهتدي، فما عليكَ إلاّ البلاغ.

وأمَّا مَن جاءكَ يَقصِدُك، يَبتغي النُّصحَ والرُّشد،

وهو يَخافُ اللهَ ويَخشَى عذابَه،

فأنتَ تتشاغلُ عنه؟

ثم قالَ سُبحانه: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَن شَاء ذَكَرَهُ} [سورة عبس: ١١-١٢].

أي: لا تَعُدْ إلى مثلِ هذا، إنَّ هذا القرآن، أو هذه السورةُ، موعِظةٌ يجبُ أن يُعمَلَ بها، فمن شاءَ مِن العبادِ اتَّعظَ به.

وقالَ الله تعالَى لنبيِّهِ محمدٍ ﷺ تذكيرًا له ولأمته:

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [سورة الضحى: ٦- ١١].

بيانُها:

أمَا وجدَكَ ربُّكَ طفلاً يتيمًا فضمَّكَ إلى مَن قامَ بأمرِك؟ فقد توفِّيَ والدهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قبلَ أن يُولَد، وبعدَ استرضاعهِ في بَني سَعدٍ كانَ في حِجرِ جدِّه، وبعدَ وفاتهِ كفلَهُ عمُّهُ أبو طالب.

ووجدكَ غافلاً عن الشَّرائعِ والرِّسالات، فهداكَ للتَّوحيد، وأنزلَ عليكَ القرآن، وعلَّمكَ ما لم تكنْ تَعلَم.

وكنتَ فقيرًا، فأغناكَ اللهُ بالتِّجارة.

فكما كنتَ يتيمًا، فلا تَحتَقِرِ اليتيمَ ولا تَستَذِلَّه، ولكنْ أحسِنْ إليهِ وتلطَّفْ به.

وكما كنتَ فقيرًا، فلا تَزجُرِ السَّائلَ المحتاج، ولكنْ تفضَّلْ عليه بشيء، أو رُدَّهُ بقولٍ جميل.

وكما كنتَ ضالاً فأنعمَ اللهُ عليكَ وهداكَ إليه، فبلِّغْ ما أُرسِلتَ به، وحدِّثْ بما أوحِيَ إليكَ وأقرِئهُ وبيِّنه، فإنَّ التحدُّثَ بنعمةِ الله، وخاصَّةَ نعمةَ الهُدَى والإيمان، مِن صوَرِ الشُّكرِ للمُنعِم، يُكمِلُها البِرُّ بعِبادِه، والإحسانُ إليهم.

××× ××× ×××

ولضَعَفةِ المؤمنين وفقرائهم مكانةٌ عند الله، وإنهم لمكرَمون.

قال رسولُ الله ﷺ:

"**كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَين لا يؤبَهُ له، لو أقسمَ على الله لأبرَّه، منهم البراءُ بنُ مالك**"(٦٦).

أشعث: متفرق شعر الرأس.

أغبر: مغبرُّ البدن.

ذي طمرين: صاحب ثوبين خَلقين.

لا يؤبه له: لا يُبالَى به ولا يُلتفت إليه لحقارته.

لأبرَّه: لأمضاهُ على الصدق، وجعله بارًّا في الخلق.

البراء بن مالك: هو أخو أنس، شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد. وكان من الأبطال الأشدّاء، قَتل من المشركين مئة مبارز، سوى من شارك فيه(٦٧).

---

(٦٦) سنن الترمذي (٣٨٥٤) وقال: حديث حسن غريب، ورواه الحاكم في المستدرك (٧٩٣٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وهو بلفظ قريب عند مسلم (٢٦٢٢).

(٦٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٤٠٢٤ مختصرًا.

صور من مراعاة المشاعر

ومراعاةُ الحالِ أمرُها قريبٌ من مراعاةِ الشعور، ولكنها كثيرة، وتحتاجُ إلى مؤلَّف يُفرَدُ لها، وإنما نورد هنا صورًا منها، مما كان قريبًا إلى الإحساسِ والشعور.

كان رسولُ الله ﷺ يحبُّ أصحابه، ويقرّبهم، ويشاورهم، ويحضرُ مناسباتٍ لهم، ولا يجرحُ مشاعرهم، وإذا أرادَ أن يصححَ أخطاءً لهم فبهدوءٍ، وكلامٍ طيب. وقد لا يذكرُ أسماءَ أو أقوامًا بعينهم حتى لا يؤذي مشاعرهم.

كما في قولهِ عليه الصلاةُ والسلام في أحاديثَ ومواقف: "**ما بالُ أقوامٍ**"(٦٨).

قال الإمام النووي رحمه الله: هو موافق للمعروف من خُطبه ﷺ في مثل هذا، أنه إذا كره شيئًا فخطبَ له ذكر كراهيته ولا يعيّن فاعلَه، وهذا

---

(٦٨) كما في صحيح البخاري (٤٥٦)، وصحيح مسلم (١٤٠١) وغيرهما.

من عظيم خُلقه ﷺ، فإن المقصود من ذلك الشخصُ وجميعُ الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخُ صاحبه في الملأ[٦٩].

ومن آداب الشرابِ أن تعطيَهُ للذي يليكَ عن يمينك، ولو كان الذي عن يسارِكَ أجلَّ منه. فإذا أحببتَ تقديمَهُ للآخر فاستأذن منه، تقديرًا لشعوره، كما في الحديثِ الشريف:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب، فشربَ منه، وعن يمينهِ غلام، وعن يسارهِ الأشياخ، فقال للغلام:

"أتأذنُ لي أن أعطيَ هؤلاء"؟

فقال الغلام: لا والله يا رسولَ الله، لا أوثرُ بنصيبي منكَ أحدًا.

قال: **فتلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يده**[٧٠].

وتلَّه بمعنى دفعه وألقاه بين يديه.

---

(٦٩) شرح النووي على مسلم ٩/ ١٧٦.

(٧٠) صحيح البخاري (٢٤٥١)، صحيح مسلم (٢٠٣٠).

قال الإمام النووي في هذا الحديث وحديث قبله في موضوعه: في هذه الأحاديث بيان هذه السنة الواضحة، وهو موافق لما تظاهرت عليه دلائل الشرع، من استحباب التيامن في كلِّ ما كان من أنواع الإكرام. وفيه أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدَّم وإن كان صغيرًا أو مفضولًا؛ لأن رسول الله ﷺ قدَّمَ الأعرابيَّ والغلام على أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وأما تقديم الأفاضل والكبار فهو عند التساوي في باقي الأوصاف، ولهذا يقدَّم الأعلم والأقرأ على الأسنِّ النسيب في الإمامة في الصلاة(٧١).

ومن آداب الحديث احترامُ مشاعر الآخرين، والتحذيرُ من المخالفة.
عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ:
"**إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجَى اثنانِ دونَ صاحبِهما، فإنَّ ذلك يُحزنه**"(٧٢).

والمراد أن الثالث يقع في نفسه ما يحزن لأجل ذلك، بأن يقدِّر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنهم لم يروه أهلًا لأن يشركوه في حديثهم،

---

(٧١) شرح النووي على مسلم ١٣/ ٢٠٠، ومثله في إرشاد الساري ٨/ ٣٣٠.
(٧٢) صحيح البخاري (٦٢٩٠)، صحيح مسلم (٢١٨٤) واللفظ له.

إلى غير ذلك من وساوس الشيطان وحديثِ النفس، وحصل ذلك كلُّه من بقائه وحده، فإذا كان غيرهُ أُمِن ذلك.

وفي معنى مناجاة الاثنين كلامُهما بلسان لا يعرفه الثالث، كالتركي والعجمي، فإنه لا يفهم ما يتحدثون به، ويحزنه سماع ذلك، وهذا الحديث يعمُّ جميع الأزمان والأحوال(٧٣).

ومن مراعاة المشاعر ألا يقيمَ جالسًا ليجلس هو في مكانه، فإنه تحقيرٌ لكرامته، أو تكديرٌ لخاطره.

عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال:

"**لا يقيمُ الرجلُ الرجلَ من مَقْعَدِهِ ثم يَجلِسُ فيه، ولكنْ تفسَّحوا وتوسَّعوا**"(٧٤).

تفسَّحوا: ليقربْ بعضُهم من بعضٍ ليتَّسعَ المجلس(٧٥).

---

(٧٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ١٨/ ٥٦٠.

(٧٤) صحيح البخاري (٦٢٧٠)، صحيح مسلم (٢١٧٧) واللفظ له.

(٧٥) شرح المصابيح لابن الملك ٥/ ١٨٣.

كما قال عليه الصلاةُ والسلام: "**لا يُجْلَسُ بين رَجُلَين إلا بإذنهما**"(٧٦). لأنه قد يكون بينهما محبة ومودة وجريان سرٍّ وأمانة، فيشقُّ عليهما التفرق بجلوسه بينهما(٧٧).

والوجهُ مكرَّم، فلا يُضرَب، فإن الضربَ إهانة.

قال رسولُ الله ﷺ: "**إذا ضربَ أحدُكم فليجتنبِ الوجه، ولا يقل: قبَّحَ اللهُ وجهكَ ووجهَ من أَشبهَ وجهَك، فإن الله عزَّ وجلَّ خلقَ آدمَ على صورته**"(٧٨).

وقال عليه الصلاةُ والسلام: "**إذا قاتلَ أحدُكم فليجتنبِ الوجه**"(٧٩).

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة، وأكثر الإدراك بها، فقد

---

(٧٦) سنن أبي داود (٤٨٤٤) قال محققه: إسناده حسن، وكذا قال في مسند أحمد (٦٩٩٩) ولفظه: "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما".

(٧٧) مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٧٦.

(٧٨) مسند أحمد (٧٤٢٠، ٩٦٠٤) قال محققوه في الموضعين: إسناده قوي. وأخرج أبو يعلى شطره الأول في مسنده (٦٢٧٤) وقال محققه حسين أسد: إسناده صحيح.

(٧٩) صحيح البخاري (٢٥٥٩) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٦١٢).

يبطلها ضربُ الوجه، وقد يَنقصها، وقد يشوّه الوجه، والشَّينُ فيه فاحش؛ لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يَسلم من شَينٍ غالبًا.

ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب، فليجتنب الوجه(٨٠).

وفي رقَّة قلبٍ من رسولِ الله ﷺ، وعطفٍ منه، وحِلم، ومراعاةٍ مشاعر، أوردُ هذا الحديثَ الشريف، الذي يدلُّ على سعةِ صدرٍ وخُلقٍ عظيم، لا ترى مثله!

عن أنس بن مالك قال:

بينما نحن في المسجدِ مع رسولِ الله ﷺ، إذ جاءَ أعرابيّ، فقامَ يبولُ في المسجد، فقالَ أصحابُ رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ.

قال: قال رسولُ الله ﷺ: "**لا تُزرِموه، دَعوه**".

فتركوهُ حتى بال.

---

(٨٠) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٦٥.

ثم إن رسولَ الله ﷺ دعاهُ فقالَ له: "**إن هذه المساجدَ لا تَصلحُ لشيءٍ من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكرِ الله عزَّ وجلّ، والصلاة، وقراءةِ القرآن**". أو كما قال رسولُ الله ﷺ.

قال: فأمرَ رجلًا من القوم، فجاءَ بدلوٍ من ماء، فشنَّه عليه(٨١).

لا تُزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله.

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه الرفقُ بالجاهل وتعليمهُ ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء، إذا لم يأت بالمخالفة استخفافًا أو عنادًا.

وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفِّهما، لقوله ﷺ: "دعوه". قال العلماء: كان قوله ﷺ "دعوه" لمصلحتين: إحداهما أنه لو قُطع عليه بوله تضرَّر، وأصلُ التنجيس قد حصل، فكان احتمالُ زيادته أَولى من إيقاع الضرر به. والثانية أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد(٨٢).

---

(٨١) صحيح البخاري (٦٠٢٥)، صحيح مسلم (٢٨٥) واللفظ له.

(٨٢) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٩١.

ومراعاة المشاعر تكون حتى في معاملة الحيوان، من باب الشفقة والرحمة، كما في حديث شدّاد بن أوس المرفوع:

"**إن الله كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء، فإذا قَتلتم فأحسِنوا القِتلة، وإذا ذَبحتم فأحسِنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدُكم شَفرته، فليُرِحْ ذبيحته**"(٨٣).

والقِتلة: هيئة القتل.

وليُرِح ذبيحته: بإحدادِ السكّين، وتعجيلِ إمرارها، وغيرِ ذلك.

ويستحبُّ ألّا يُحِدَّ السكينَ بحضرة الذبيحة، وألّا يذبح واحدةً بحضرة أخرى، ولا يجرَّها إلى مذبحها.

وقوله ﷺ "فأحسنوا القِتلة" عامٌّ في كلِّ قتيل من الذبائح، والقتلِ قصاصًا، وفي حدٍّ ونحوِ ذلك.

وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام(٨٤).

وأخبار الرأفةِ بالحيوان وقصصها كثيرة.

---

(٨٣) صحيح مسلم (١٩٥٥).

(٨٤) شرح النووي على مسلم ١٣/ ١٠٧.

××× ××× ×××

ومن صور مراعاة المشاعر في الأخبار:
قال عبيد الله بن عباس لابن أخيه: إن أفضلَ العطية ما أعطيتَ الرجلَ قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمنَ وجهه حين بذله لك[٨٥].

وقال الصحابي الجليل عبدالله بن جعفر رضي الله عنه:
ليس الجواد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ؛ لأن ما يبذله إليك من وجهه أشدُّ عليه مما يُعطَى عليه[٨٦].

والدعوة، والحوار، والنصيحة، تكون في أدب، وحكمة، وجدالٍ حسن، دون تعيير، وتوبيخ، وجرح، وتكبر، وجفاء، حتى تؤتي ثمارها الطيبة، ولا تكونَ سببًا في نفور، وشقاق، ونزاع، وقطيعة.

(٨٥) اصطناع المعروف (٩٦)، قضاء الحوائج (٣٩)، الجواهر المجموعة للسخاوي (٤١٤).
(٨٦) شعب الإيمان (١٠٩١٧)، اصطناع المعروف (١٠٠)، قضاء الحوائج (٤٢)، الجواهر المجموعة (٤١٧).

قال الفضيل رحمه الله: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يَهتك ويعيّر[٨٧].

وقال ابن رجب: شتّان بين من قصدهُ النصيحة، وبين من قصده الفضيحة، ولا تلتبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة[٨٨].

واللطف واللباقة تكونُ حتى مع الكافر، وخاصة أصحابَ المناصب، وقد قال الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام في دعوته فرعون: {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} [سورة طه: ٤٣-٤٤].

أي: ارفُقا به عندما تَدعُوانِه، خاطِباهُ باللُّطفِ واللِّينِ ولا تُعنِّفاه، ليكونَ ذلك أوقعَ في نفسِه، وأكثرَ قبولاً لديه، ولعلَّهُ بذلكَ يتأمَّلُ ويتدبَّر، أو يخافُ من اللهِ ويَحذَرُ عقابَه.

---

(٨٧) جامع العلوم والحكم ١/٢٢٥.

(٨٨) الفرق بين النصيحة والتعيير ص ١٩.

صور من جبر الخواطر

ابتُليَ خليلُ الله إبراهيمَ عليه السلامُ بولدهِ إسماعيل، وكان وحيدَهُ بعد كِبَر، عندما رأى في المنامِ أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياءِ حقّ، فقصَّ عليه، فرضيَ وامتثل، لكنَّ الله أنقذَهُ في آخرِ لحظة، وقد تحقَّقَ معنى الابتلاء، وامتثلَ كلاهما لأمرِ الربِّ سبحانه.

وقد جازاهما الله خيرًا، بعد الامتثالِ والرضا بأصعبِ ما يُبتلَى به الإنسان، حيثُ رفعَ شأنهما بالنبوَّة، وهي أعلى درجاتِ الإنسانِ في الدنيا

ثم إنه سبحانهُ فدَّاه بذِبحٍ عظيم، جبرًا لخاطره، وتطييبًا لقلبه.. قلبِ الأبِ الرحيم.

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الصافات: ١٠٢ – ١١١].

وفي قصةِ يوسفَ عليه السلامُ المؤثّرة، وحزنِ والدهِ على فقده، حتى ابيضَّت عيناه من الحزن، في نهايتها طيَّب الله قلبه، وجبر خاطره بلقائه، وجُمِعَ شملُ الأسرةِ جميعها عند يوسف:

{فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ} [سورة يوسف: ٩٩].

كما جازى الله يوسفَ على صبرهِ وإحسانهِ بجاهٍ ومنصبٍ كبير، فقد سجدَ له والداهُ وإخوتهُ – سجودَ تكريمٍ لا عبادة – واعتلى وزارةَ المالية، وأنقذَ الله على يديهِ مصرَ من مجاعةٍ رهيبةٍ كانت تنتظرهم. واستجابَ دعاءَهُ من قبلُ وخلَّصَهُ من مكرِ النساء.

وابتُليَ نبيُّ الله أيوب بمرضٍ شديد، فتضرَّع إلى ربّه ليَشفيَه، فاستجابَ دعاءَه، وجبرَ خاطرَهُ بأن وهبَ له أهلَهُ الذينَ فقدَهم أثناءَ مرضِه، بجمعِهم عليهِ بعد تفرُّقِهم، أو بإحيائهم بعد موتِهم، وأعطاهُ زيادةً عليهم آخَرينَ مثلَهم، ربَّما بتكثيرِ نسلِه؛ رحمةً به، وجزاءَ صبرهِ وثباتِه، وتذكيرًا للعقلاءِ المعتَبِرين بعاقبةِ الصَّبر.

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ} [سورة ص: ٤١-٤٣].

وألهمَ اللهُ أُمَّ موسى أن تُرضِعَ ابنَها مدَّة، وأن تخفيَهُ ما أمكن، فإذا خَشِيت مِن معرفةِ جواسيسِ فرعونَ به وضعتْهُ في صندوقٍ وألقتهُ في نهرِ النيل، وألّا تَخافَ مِن ضَياعهِ أو غَرْقِه، وألّا تَغتمَّ بمفارقتِه، فإنه سُبحانهُ سيردُّهُ إليها قريبًا لتُرضِعَه..

وأصبح فؤادُ أُمِّ موسى خاليًا إلاّ مِن ذِكرِ موسَى وهمِّه، وكادت أن تَذكُرَ حقيقةَ أمرهِ مِن شدَّةِ قلقِها عليه، لولا أن ثبَّتَ قلبَها وألهمَها الصَّبرَ وأنزلَ عليها السَّكينة، لتَكونَ مِن المصدِّقين بما وعدها به مِن ردِّ ولدِها إليها.

وقد أعادَ الله موسى إلى أُمِّهِ – في قصَّةٍ – لتَقَرَّ عينُها بهِ ولا تَحزَنَ عليه، ولتَيْقَنَ أنَّ ما وعدَها اللهُ به مِن ردِّهِ إليها حقٌّ وصدقٌ لا خُلْفَ فيه، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلَمون الحكمةَ مِن أفعالِ الله، ويَشكُّون في وعدِهِ لهم.

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة القصص: ١٣].

ودعا نبيُّ الله موسى ربَّهُ أن يَفُكَّ حُبسةً كانت في لسانهُ ليَفهموا كلامه، وأن يوحيَ إلى أخيهِ هارون كما أوحى إليه، ليتحمَّلَ معه أعباءَ الدعوة. وكان أكبرَ من موسَى، وأفصحَ منه لسانًا.

فاستجابَ الله دعاءَه..

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً. وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [سورة طه: ٢٥-٣٦].

وحوادثُ قصةِ موسى مع الخَضِرِ عليهما السلامُ كانت مؤلمة، بل منكَرةً في ظاهرها، ثم تبيَّنَ من نتيجتِها أنها رحمة!

فقد خرقَ الخضرُ سفينةً جديدةً كان يملكها يتامى، لكنْ تبيَّنَ أن الحكمةَ من جعلِها مَعِيبَة هي بسببِ وجودِ ملكٍ ظالمٍ أمامَهم، كان يأخذُ كلَّ سفينةٍ جيدةٍ غصبًا، فكان عملهُ إنقاذًا لها.

وأمَّا الغلامُ الذي قتلَه، فلو أنه كَبِرَ لكان كافرًا، وكان أبواهُ مؤمنَين صالحَين، وعَلِمَ أنَّهُ لو بلغَ لدَعاهُما إلى الكفر، ولاستَجابا له وتابعاهُ في دِينه، لحبِّهما الشَّديدِ له، وحبُّ الشَّيءِ يُعمِي ويُصِمّ. فأرادَ الله بقَتلهِ له أن يُبدِلَ والدَيهِ مَن هو خيرٌ منه دِينًا وخُلُقًا، ويكونَ أبرَّ منه بهما.

وأمَّا الجدارُ الذي أصلَحهُ فكان لغلامَين يتيمَين صغيرَين، وتحتهُ مالٌ مدفونٌ مِن ذهبٍ وفضَّةٍ يخصُّهما، وكان أبوهُما صالحًا تقيًّا، ولو تُرِكَ الجدارُ يَنقَضُّ لظهرَ الكنزُ مِن تحتِه، ولَما استطاعَ الصغيرانِ أن يَدفعا عنه مكروهًا، فأرادَ الله أن يَكبَرا ويُدرِكا قوَّتَهما، ليَستَخرِجا حينذاكَ كنزَهما وهما قادران على حمايته.

وهذا الذي فعَلهُ الخضرُ كانَ رحمةً منَ اللهِ بأصحابِ السَّفينة، ووالِدَي الغلام، وولدَي الرَّجلِ الصَّالِح. وما فعلَ ذلك باختيارهِ ورأيه، وإنما بأمرِ الله. وهذا دليلٌ على نبوَّتهِ عليه السلام.

(تنظر الآيات ٦٠ – ٨٢ من سورة الكهف)

وكان النبيُّ ﷺ يَلقى عنتًا من المشركين، ويتألَّمُ من عنادهم ورفضهم الإسلام، والله تعالى يذكّرهُ بقصصِ الماضين ليثبّتَ قلبَهُ ويصبّره..

قالَ سبحانه: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة هود: ١٢٠].

تفسيرها: ونقصُّ عليكَ كلَّ ما تحتاجُ إليهِ من أخبارِ الرسُلِ والأُممِ المتقدِّمين، وما جرَى لهم مِن تصديقٍ وتكذيب، ونَصرٍ للرسلِ والمؤمنين، وهلاكٍ للكافرين المكذِّبين، لنُثبّتَ به قلبَك، فتزدادَ يقينًا وطُمأنينة، وثباتًا على أداءِ الرسالة، وتحمُّلاً لأذَى الكافرين، أُسوةً بمن سبقَكَ من إخوانِكَ المرسَلين.

وفي غزوةِ بدر كان عددُ المسلمين أقلَّ بكثيرٍ من عددِ المشركين، وما كانَ قصدُهم الحربَ أولًا، فلما استشارهم الرسولُ ﷺ في ذلك وافقوه، إلّا بعضَهم. ودعَوا اللهَ بالنصر، فأجابَ دعاءَهم بمددٍ من الملائكة، وبإلقاءِ النعاسَ عليهم؛ لتطمئنَّ قلوبُهم وتطيبَ نفوسُهم...

قال الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ: [سورة الأنفال: ٩-١١].

كما حزنَ المجاهدون حزنًا شديدًا لما أصابَهم في غزوةِ أُحد، وأرادَ الله أن يخفِّفَ عنهم هذا، فألقَى عليهم النعاس..

قال الله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ...} [سورة آل عمران: ١٥٤].

أي: مَنَّ اللهُ عليكم بعدَ هذا الحزنِ بنُعاسٍ يَغشَى جماعةً منكم وهم في لباسِ الحرب، ليكونَ سَكَناً لهم وأمناً. وطائفةٌ أخرَى لا يَغشاهمُ النعاسُ منَ القلقِ والخوفِ والجزَعِ (وهم المنافقون) تُهِمُّهم نجاةُ أنفسِهم فقط، فذهبت بهم نفوسُهم إلى ظنونٍ سيِّئةٍ لا توافقُ الحقّ...

والمرأة إذا طُلِّقت مُتِّعت؛ جبراً لخاطِرها، وإحسانًا إليها لتضرُّرها، ولتبقَى الأخوَّةُ الإسلاميةُ قائمة، ولئلّا تنقلبَ الأمورُ إلى عداوةٍ وبغضاء. ومتعةُ الطلاقِ حقٌّ ماليٌّ يعطيه المطلِّقُ بالوجهِ الذي تَستحسنهُ الشريعةُ والمروءة. وكلٌّ يعطي على قدرِ حاله، فالغنيُّ يعطي بما يوافقُ وضعه، والفقيرُ يُعطي ما يُمكنه.

قال الله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الموسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ٢٣٦].

××× ××× ×××

وفي طريقِ الهجرة خرجَ المشركون بحثًا عن رسولِ الله ﷺ ليقفوا على خبرِهِ ويقتلوه، فاختبأَ عليه الصلاةُ والسلامُ مع صاحبهِ أبي بكر رضي الله عنه في غارِ ثَور، وصار المشركون يجولون حولهما، فقال أبو بكر: لو أن أحدهم نظرَ تحت قدميهِ لأبصرنا!

فطمأنهُ الرسولُ الكريم ﷺ وقال له: "**ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ الله ثالثُهما**"(٨٩)؟

قال الإمام النووي: معناه ثالثهما بالنصر والمعونة، والحفظ والتسديد، وهو داخل في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [سورة النحل: ١٢٨].

قال: وفيه بيانُ عظيمِ توكلِ النبيّ ﷺ حتى في هذا المقام.

وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه، وهي من أجلِّ مناقبه. والفضيلةُ من أَوجهٍ، منها هذا اللفظ، ومنها بذله نفسه، ومفارقتهُ أهلَه وماله ورئاسته في طاعة الله تعالى ورسوله، وملازمة النبي ﷺ، ومعاداةُ الناس فيه، ومنها جعله نفسه وقاية عنه، وغير ذلك(٩٠).

وقد أوذيَ رسولُ الله ﷺ كثيرًا في حياته الدعوية، ولكن الله كان يهوّن عليه ما يجد، ويقصُّ عليه القصص من القرآنِ ليثبّت قلبه، ويعدهُ بالنصر، ويكرمه بالمعجزات، ويطيّبُ قلبه بما شاء..

---

(٨٩) الحديث في صحيح البخاري (٣٦٥٣)، وصحيح مسلم (٢٣٨١).

(٩٠) شرح النووي على مسلم ١٥/ ١٤٩.

وقد سألت أمُّنا عائشة رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ مرة: هل أتى عليكَ يوم كان أشدَّ من يومِ أُحد؟

قال: " **لقد لقيتُ من قومِكِ ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلَال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفقْ إلا وأنا بقَرنِ الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمعَ قولَ قومِكَ لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شئتَ فيهم، فناداني ملَكُ الجبال، فسلَّمَ عليّ، ثم قال: يا محمد، فقالَ ذلك فيما شئت، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين؟ فقال النبيُّ ﷺ: بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يَعبدُ اللهَ وحدَه، لا يشركُ به شيئًا**"(٩١).

وهذا من مزيد شفقته على أمته وكثرة حِلمه وصبره، جزاه الله عنا ما هو أهله، وصلى عليه وسلم(٩٢).

---

(٩١) صحيح البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، صحيح مسلم (١٧٩٥).

(٩٢) إرشاد الساري ٥/ ٢٧٦.

وبعث النبيُّ ﷺ بَعثًا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعنَ بعضُ الناس في إمارته، فقال عليه الصلاةُ والسلام:

"**إنِ تَطعُنوا في إمارتهِ فقد كنتم تطعُنون في إمارةِ أبيهِ من قبل، وايمُ الله إنْ كان لخليقًا للإمارة، وإنْ كان لمن أحبِّ الناسِ إليّ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناسِ إليَّ بعده**"(٩٣).

أي: إن تطعنوا في إمارته فقد أثمتم بذلك؛ لأن طعنَكم بذلك ليس حقًّا، كما كنتم تطعنون في إمارة أبيه وظهرت كفاءته وصلاحيته للإمارة، وأنه كان مستحقًّا لها فلم يكن لطعنكم مستند، فلذلك لا اعتبار بطعنكم في إمارة ولده، ولا التفات إليه(٩٤).

وجبرًا لخواطر المريض، الذي لم يعدْ قادرًا على عمل الخيراتِ كما كان صحيحًا، روى أبو موسى الأشعري قولَهُ عليه الصلاة والسلام:

---

(٩٣) صحيح البخاري (٣٧٣٠)، صحيح مسلم (٢٤٢٦).

(٩٤) فتح الباري لابن حجر ١٣/ ١٨٠.

"**إذا مرض العبد، أو سافر، كُتِبَ له مثلُ ما كان يعملُ مقيمًا صحيحًا**"(٩٥).

يعني إذا فات منه عمل صالح بسبب المرض أو المسافرة أو شغل طاعة أو مباح، أعطاه ثواب ذلك العمل؛ لأنه معذور في فوت ذلك العمل، وهذا في غير الفرائض، أما الفرائض لا عذر في فوتها، إلا الصوم في السفر والمرض، فإنه يجوز أن يفطر بشرط القضاء(٩٦).

××× ××× ×××

وتذكيرٌ بمن انتقل من حال إلى حال..

روى سعيد بن منصور عن الفضيل بن عياض رحمه الله قوله:

ارحموا عزيزَ قومٍ ذَلّ، وغنيًّا افتقر، وعالمًا بين الجهّال(٩٧).

---

(٩٥) صحيح البخاري (٢٩٩٦).

(٩٦) المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٣٩٨).

(٩٧) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٦٩٩). قال البيهقي بعده: وروي هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ من أوجه كلها ضعيفة.

تطييب القلب

وأمرَ الله رسولَهُ أن يشاورَ أصحابَهُ ولو كان نبيًّا ينزلُ عليه الوحي، وهذا من تطييب القلبِ ومراعاةِ الشعور؛ ليعرفوا أنهم ذوو قدر، وأنهم غيرُ مهملين، بل لهم مكانة...

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} [سورة آل عمران: ١٥٩].

أي: برحمةِ اللهِ لكَ ألنْتَ لأصحابِكَ جانبك، وخَفضتَ لهم جَناحَك، وحسَّنتَ لهم خُلُقَك، فأحبُّوكَ وفدَوْكَ بأنفسهم وآبائهم وأموالِهم، ولو كنتَ جافيَ المعاشرة، كريهَ الخُلُق، قاسيَ القلب، لنَفَروا منك، وتفرَّقوا عنك. فاعْفُ عنهم ما صدرَ منهم مِن تقصيرٍ في حقِّكَ كما عفا اللهُ عنهم، واستغفِرْ لهم فيما يتعلَّقُ بتقصيرِهم في حقِّ اللهِ إكمالاً للبِرّ بهم، واستَشِرْهم في الأمور، لتُظهِرَ بها آراءَهم، وتُطَيِّبَ قُلوبَهم، وتُمهِّدَ لسُنَّةِ المشاورةِ للأمَّة، فإنَّ في الاستشارةِ فوائدَ ومصالحَ كثيرة.

ومن تطييبِ القلبِ مراعاةُ حالِ اليتامى والمساكين إذا حضروا تركة، قال ربُّنا سبحانه:

{وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [سورة النساء: ٨].

معناها: إذا حضرَ قسمةَ التركَةِ أقرباؤكم من اليتامَى والمساكينِ ممَّن لا يَرِثون، فأعطُوهم منها، وقُولوا لهم كلاماً حسناً تُطيِّبون به نفوسَهم.

××× ××× ×××

وفي محاورةٍ جرتْ بين أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، غضبَ عمر، وطلبَ أبو بكرٍ أن يسامحهُ فلم يفعل، فمضى كلٌّ إلى رسولِ الله ﷺ يخبرهُ بما جرى، فانتصرَ عليه الصلاةُ والسلامُ لصاحبهِ الأول، جبرًا لخاطره، وتطييبًا لقلبه، فقال:

"**إنَّ الله بعثني إليكم فقلتُم كذَبت، وقال أبو بكر: صدَق، وواساني بنفسهِ وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**"؟ مرتين، فما أُوذيَ بعدها[٩٨]!

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث من الفوائد فضلُ أبي بكر على جميع الصحابة، وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضِبَ من هو أفضل منه، وفيه جواز مدح المرء في وجهه، ومحلهُ إذا أمن عليه الافتتان والاغترار[٩٩].

وعندما تنازع غلامان أنصاريان على قتلِ أبي جهل يوم بدر لأنه سبَّ رسولَ الله ﷺ، ذهبا إليه عليه الصلاة والسلام وأخبراه بذلك، كلٌّ يقولُ إنه هو قاتله، فقال: "**هل مسحتُما سيفَيكُما**"؟، قالا: لا، فنظرَ في السيفين، فقال: "**كلاكما قتله**". فطيَّب بذلك قلبيهما[١٠٠]!

---

(٩٨) صحيح البخاري (٣٦٦١).

(٩٩) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٦).

(١٠٠) تنظر القصة بأكملها في صحيح البخاري (٣١٤١)، وصحيح مسلم (١٧٥٢).

ولما علمت فاطمةُ رضي الله عنها باقتراب أجل والدها محمد رسولِ الله ﷺ اغتمَّت وبكت، فخفَّفَ عنها ما تجد وطيَّبَ قلبها حتى ضحكت. وكان أخبرها أنها أولُ أهله لحوقًا به، ثم قال عليه الصلاةُ والسلام: "**ألا ترضينَ أن تكوني سيدةَ نساء المؤمنين، أو سيدةَ نساءِ هذه الأمة**"؟.

فضحكت لذلك(١٠١).

وعندما غلبَ مرضُ الموتِ على أمِّنا عائشة رضي الله عنها، أذن لابن عباس أن يزورها، فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ، قال: فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله، زوجةُ رسولِ الله ﷺ، ولم ينكحْ بكرًا غيرك، ونزلَ عذرُكِ من السماء(١٠٢).

قال ابن هبيرة: فيه جواز التبشير للمريض لتقوى نفسه؛ لأن ابن عباس بشَّر عائشة(١٠٣).

---

(١٠١) صحيح البخاري (٦٢٨٥)، صحيح مسلم (٢٤٥٠) واللفظ له.

(١٠٢) صحيح البخاري (٤٧٥٣).

(١٠٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/ ١٠٨.

وتطييبًا لقلوبِ مَن ضُربَ من الأرقّاء وأُوذي أن يُعتق.

روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قوله:

"**من لطمَ مملوكه، أو ضربه، فكفّارتهُ أن يُعتِقه**"(١٠٤).

قال العلماء: في هذا الحديث الرفقُ بالمماليك، وحسنُ صحبتهم، وكفُّ الأذى عنهم... وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجبًا، وإنما هو مندوب، رجاء كفّارة ذنبه فيه، وإزالة إثم ظلمه(١٠٥).

××× ××× ×××

وتغير خاطر السيوطي على القسطلاني، لأنه كان ينقل عن كتبه ولا ينسب إليها، فقصد إزالة ما في خاطره، فمشى من القاهرة إلى الروضة إلى باب السيوطي، ودقَّ الباب فقال له: من أنت؟ فقال: أنا القسطلاني، جئت إليك حافيًا مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ.

---

(١٠٤) صحيح مسلم (١٦٥٧).

(١٠٥) شرح النووي على مسلم ١١/ ١٢٧.

فقال له: قد طاب خاطري عليك.

ولم يفتح له الباب، ولم يقابله[١٠٦]!

تفريج الكُرب
(الفرَج بعد الشدَّة)

الإنسان في ابتلاء، ولا تخلو حياتهُ من شدائد تصيبه، وعقباتٍ تقف أمامه، ويجهدُ في دفعها ما استطاع، وإذا خانته القوة أو لم يلقَ عونًا التجأ إلى الله.

ومواقف الناس تتباين بعد الفرَج!

قال الله تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [سورة النحل: ٥٣-٥٤].

أي: إذا أصابتكُم مصيبة، مِن مرضٍ ومجاعة، وكَربٍ وبلاء، فإليهِ وحدَهُ تَضِجُّون بالدُّعاءِ ليَكشِفَ ما بكم، فتَنطِقُ فطرتُكم وتَفقَهُ قلوبُكم آنذاكَ

(١٠٦) ينظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ٤.

أنهُ لا أحدَ يسمعُكم أو يُنقِذُكم ممّا أنتم فيه سواه. فإذا أزالَ عنكم ما أصابَكم، وأجابَ دعاءَكم، إذا قسمٌ منكم يُشرِكون بربِّهم..

ونبيُّ الله يونسُ عليه السلام دعا قومَهُ فأبَوا، فوعدَهم بالعذاب، مُنتَظِرًا أن يَحِلَّ بهم، ثمَّ هجرَهم وهو غاضِبٌ عليهم، قبل أنْ يأذنَ اللهُ له بالهجرَة، وقد ظنَّ أنَّ اللهَ لن يَقضيَ عليهِ بعقوبة، ولن يُضيِّقَ عليه، فركبَ البحر، وابتلَعَهُ الحوت، وبقيَ في بطنهِ ولم يَهضِمْه، بأمرِ الله، فدعا وهو في ظُلمةِ بطنِ الحوت، وظُلمةِ البحر، وظُلمةِ اللَّيل، قائلاً: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}: لا معبودَ بحقٍّ سِوَاكَ يا ربّ، يا واحِدُ يا أحَد، إنِّي ظَلَمتُ نفسي بهجرَتي قومي دونَ إذنٍ وأمرٍ منك، فاغفِرْ لي، وتُبْ عليّ.

فاستجابَ الله دعاءَه، وقَبِلَ توبتَه، وأخرجهُ مِن بطنِ الحوت، ونجَّاهُ مِن تلكَ الظُّلُمات، وكذلكَ يَستَجيبُ دُعاءَ المؤمنينَ في الكُرَبِ والشَّدائدِ إذا دعَوا واستغاثُوا به سبحانه، وخاصَّةً بدُعاءِ يونُسَ عليه السَّلام، فقد صحَّ في الحديثِ قولُهُ ﷺ: "دعوَةُ ذي النُّونِ التي دَعا بها في بَطنِ

الحوت: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} لم يَدْعُ بها مُسلِمٌ في كُرْبَةٍ إلاّ استَجابَ له"(١٠٧).

قال الله سبحانه:

{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨].

××× ××× ×××

وأبرزُ صورة لجبر الخواطر يظهر في تخفيف المصائب وتفريج الكُرب، فعند الحاجة تتبيَّن معادن الناس، وتبدو الأخوَّة الإسلامية في أبهى مظاهرها.

عن عبدالله بن عمر، أن رسولَ الله ﷺ قال:

(١٠٧) لفظه من المستدرك للحاكم (٤١٢١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

"المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلِمهُ ولا يُسلِمه، ومن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً فرَّج الله عنه كربةً من كرُباتِ يومِ القيامة، ومن سترَ مسلمًا سترَهُ اللهُ يومَ القيامة"[١٠٨].

قال الإمام النووي: في هذا فضلُ إعانةِ المسلم، وتفريجِ الكرب عنه، وسترِ زلّاته.

ويدخل في كشف الكربة وتفريجها مَن أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته. والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته.

وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به السترُ على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد[١٠٩].

××× ××× ×××

قال البرقي: رأيت امرأةً بالبادية وقد جاء البرد فذهبَ بزرعٍ كان لها، فجاء الناس يعزّونها، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم أنت

(١٠٨) صحيح البخاري (٢٤٤٢) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٥٨٠).

(١٠٩) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٣٥.

المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك.

قال: فلم أبرح، حتى جاء رجل من الأجلّاء، فحُدِّث بما كان، فوهب لها خمسمئة دينار(١١٠).

حضر الشعبي، عند مصعب بن الزبير، وهو أمير الكوفة، وقد أُتيَ بقوم، فأمر بضرب أعناقهم، فأُخذوا ليُقتَلوا.

فقال له الشعبي: أيها الأمير، إن أول من اتخذ السجن كان حكيمًا، وأنت على العقوبة أقدرُ منك على نزعها.

فأمر مصعب بحبس القوم، ثم نظر في أمرهم بعد، فوجدهم برآء، فأطلقهم(١١١).

(١١٠) الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ١٨١.

(١١١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٦.

اصطناع المعروف

وصنع المعروف بالناس، والمحتاجين منهم خاصة، فيه إعانة لهم، وجبر لخواطرهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

"**عليكم باصطناعِ المعروفِ فإنه يقي مصارعَ السوء، وعليكم بصدقةِ السرِّ فإنها تُطفئُ غضبَ الله عزَّ وجلّ**"(١١٢).

و"**كلُّ معروفٍ صدقةٌ**"(١١٣) كما قال رسول الله ﷺ، فثوابه عظيم.

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

ما رأيت رجلًا قط سبق مني إليه معروف إلا أضاء ما بيني وبينه(١١٤).

وقال يزيد بن المهلَّب لابنه:

---

(١١٢) ذكر الألباني أنه صحيح بمجموع طرقه وشواهده بلا ريب، بل يلحق بالتواتر عند بعض المتأخرين. تنظر السلسلة الصحيحة (١٩٠٨).

(١١٣) صحيح البخاري (٦٠٢١).

(١١٤) اصطناع المعروف (٢٣)، شعب الإيمان (١٠٩١٩).

يا بني، لا تملَّ معروفًا، واستكثرنَّ منه، فإن الذمَّ قلَّ من ينجو منه[١١٥].

قضاء الحوائج

وقضاء الحوائج أنواع، وفيه إدخال السرور في القلوب...

قيل: يا رسولَ الله، من أحبُّ الناسِ إلى الله؟

قال: "**أنفعُهم للناس، وإن أحبَّ الأعمالِ إلى الله سرورٌ تُدخلهُ على مؤمن: تكشفُ عنه كربًا، أو تَقضي عنه دَينًا، أو تطردُ عنه جوعًا.**

ولَأن أمشيَ مع أخي المسلمِ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ شهرين في مسجد.

ومن كفَّ غضبَهُ سترَ الله عورته.

ومن كظمَ غيظه، ولو شاءَ أن يُمضيَهُ أمضاه، ملأ الله قلبَهُ رضًى.

ومن مشى مع أخيهِ المسلمِ في حاجةٍ حتى يثبّتَها له ثبَّتَ الله قدميهِ يومَ تزلُّ فيه الأقدام.

---

(١١٥) اصطناع المعروف (٦٤).

وإن سوءَ الخُلقِ ليفسدُ العملَ كما يفسدُ الخلُّ العسل"[١١٦].

قال المناوي: أنفعهم للناس بالإحسان إليهم بماله وجاهه وعلمه؛ لأن الخلق كلَّهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله[١١٧].

الأمراض

والأمراض كفَّاراتٌ لسيئات، ولو كانت مثلَ شوكةٍ يشاكها. وهذا من تطييب الخاطر والمواساة للمريض، حتى يهدأ ويسلِّم ولا يضجر.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رجلٌ لرسول الله ﷺ: أرأيتَ هذه الأمراضَ التي تُصيبنا، ما لنا بها؟

قال: " **كفّارات**".

قال أُبيّ: وإن قلَّت؟

قال: "**وإن شوكةً فما فوقها**".

---

(١١٦) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (٩٥)، وفي قضاء الحوائج (٣٦)، وحسن الألباني إسناده في صحيح الجامع الصغير (١٧٦)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٠٦).

(١١٧) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٢٨.

قال: فدعا أُبيٌّ على نفسهِ ألّا يفارقَهُ الوعكُ حتى يموت! في ألّا يَشغلَهُ عن حجٍّ ولا عُمرةٍ ولا جهادٍ في سبيلِ الله، ولا صلاةٍ مكتوبةٍ في جماعة، فما مسَّهُ إنسانٌ إلا وجدَ حرَّهُ حتى مات(١١٨).

قال أبو معمر الأزدي:

كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئًا نكرهه سكتنا حتى يفسِّره لنا، فقال لنا ذات يوم: ألا إن السَّقَمَ لا يُكتب له أجر.

فساءنا ذلك وكبرَ علينا، قال: ولكن يُكَفِّرُ به الخطايا.

قال: فسرَّنا ذلك وأعجبنا(١١٩).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ:

"**ما من مسلمٍ يصيبهُ أذى، مرضٌ فما سواه، إلا حطَّ الله سيئاتهِ كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها**"(١٢٠).

---

(١١٨) مسند أحمد (١١١٨٣) وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده حسن.

(١١٩) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا (١٦) وذكر محققه أن إسناده حسن.

(١٢٠) جزء من حديث رواه الشيخان: صحيح البخاري (٥٦٦٧) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٥٧١).

فما سواه: كالهمِّ يهمُّه.

إلا حطَّ الله سيئاته: من الصغائر والكبائر، حدِّثْ عن الكريم بما شئت! كما تحطُّ الشجرةُ ورقها: في زمن الخريف؛ لأنها حينئذ يتجرَّد عنها سريعًا، لجفافها وكثرة هبوب الرياح[١٢١].

وزار رسول الله ﷺ مريضًا، وأراد أن يخفِّف عنه ما يجد، فقال له: "**أبشرْ، فإن الله يقول: هي ناري أسلِّطُها على عبدي المؤمنِ في الدنيا، لتكونَ حظَّهُ من النارِ في الآخرة**"[١٢٢].

وقال مرة لمريضة تكنى بأمِّ العلاء:

---

(١٢١) إرشاد الساري ٨/ ٣٥٣.

(١٢٢) سنن الترمذي (٢٠٨٨)، سنن ابن ماجه (٣٤٧٠) واللفظ له، قال الشيخ شعيب في تخريجه: إسناده جيد، وكذا قال في مسند أحمد (٩٦٧٦)، السلسلة الصحيحة (٥٥٧).

"أبشري يا أمَّ العلاء، فإن مرضَ المسلمِ يُذهِبُ الله به خطاياهُ كما تُذهِبُ النارُ خَبَثَ الذهبِ والفضَّة"(١٢٣).

وسبق إيراد حديث: **"إذا مرضَ العبدُ أو سافر، كُتِبَ له مثلُ ما كان يعملُ مُقيمًا صحيحًا"**(١٢٤).

قال ابن حجر رحمه الله: هو في حقِّ من كان يعمل طاعةً فمُنع منها وكانت نيتهُ لولا المانعُ أن يدومَ عليها(١٢٥).

المواساة

والمواساة إحدى أساليب جبر الخاطر، ومن ذلك عيادة المريض، فإنها من حقِّ المسلم على المسلم:

روى ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال:

---

(١٢٣) رواه أبو داود في السنن (٣٠٩٢) وحسَّن الشيخ شعيب إسناده. وقال في السلسلة الصحيحة (٧١٤): هذا إسناد جيد، ورجاله ثقات رجال البخاري، وفي بعضهم كلام لا يضرّ.

(١٢٤) صحيح البخاري (٢٩٩٦).

(١٢٥) فتح الباري لابن حجر ٦/ ١٣٦.

"**من عادَ مريضًا لم يزلْ في خُرْفَةِ الجنة**".

قيل: يا رسولَ الله، وما خُرفةُ الجنة؟

قال: "**جَنَاها**"(١٢٦).

قال ابن حجر: الخُرفة هي الثمرة إذا نضجت، شُبِّه ما يحوزه عائدُ المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر. وقيل: المراد بها هنا الطريق، والمعنى: أن العائد يمشي في طريق تؤديه إلى الجنة. والتفسير الأول أولى(١٢٧).

قال القاضي عياض رحمه الله: وعيادة المريض من الطاعات المرغَّب فيها، العظيمةِ الأجر. وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لا سيَّما المرضى من الغرباء، ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تُركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضرًّا وعطشًا وجوعًا، فعيادتهم تطلُّعٌ على أحوالهم، ويُتذرَّع بها إلى معونتهم وإعانتهم، وهي

---

(١٢٦) صحيح مسلم (٢٥٦٨).

(١٢٧) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١١٣.

كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق، من حضرها لزمته، فمتى لم يُعادوا لم يُعلم حالُهم في ذلك(١٢٨).

وقال المهلَّب: السنَّة أن يُخاطَبَ العليلُ بما يُسليه من ألمه، ويغبِّطه بأسقامه، بتذكيره بالكفّارة لذنوبه، وتطهيره من آثامه، ويطمِّعه بالإقالة لقوله: لا بأس عليك مما تجده، بل يكفِّر الله به ذنوبك، ثم يفرّج عنك، فيجمعُ لكَ الأجرَ والعافية؛ لئلا يَسخطَ أقدارَ الله...(١٢٩).

والتعزية مواساة.

فقدَ النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابه، فسأل عنه، فقالوا: يا رسولَ الله، بُنَيُّهُ الذي رأيته هلك.

فلقيه النبيُّ ﷺ، فسأله عن بنيّه، فأخبره أنه هلك، فعزّاه عليه ثم قال: **"يا فلان، أيُّما كان أحبَّ إليك، أن تَمَتَّعَ به عمرَك، أو لا تأتي غدًا بابًا من أبوابِ الجنةِ إلا وجدتَهُ قد سبقكَ إليه يفتحهُ لك"؟**

---

(١٢٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٣٧.

(١٢٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٨٢.

قال: يا نبيَّ الله، بل يَسبقني إلى الجنةِ فيفتحها لي أحبُّ إلي.
قال: "**فذلكَ لك**"(١٣٠).

وعن أنس رضي الله عنه قال: أُصيبَ حارثةُ يومَ بدرٍ وهو غلام، فجاءت أمهُ إلى النبي ﷺ فقالت:
يا رسولَ الله، قد عرفتَ منزلةَ حارثةَ مني، فإن يكنْ في الجنةِ أَصبرْ وأَحتسب، وإن تكُ الأخرى ترى ما أصنع، فقال:
"**ويحكِ، أوَهَبِلت، أوَجنةٌ واحدةٌ هي، إنها جنانٌ كثيرة، وإنه في جنةِ الفردوس**"(١٣١).
"ويحك" تأتي كلمة رحمة، و"هبلت" بمعنى ثكلت، وترد بمعنى المدح والإعجاب أيضًا(١٣٢).

وأحسنُ ما يعزَّى به قوله ﷺ:

---

(١٣٠) الأذكار للنووي (٤٤٩) وذكر الشيخ شعيب أنه حديث صحيح.
(١٣١) صحيح البخاري (٣٩٨٢).
(١٣٢) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٠٥

"إنَّ للهِ ما أخذ، وله ما أعطَى، وكلُّ شيءٍ عندهُ بأجلٍ مسمَّى"[١٣٣].

××× ××× ×××

وكان عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول إذا عزَّى:
إن تجزعوا فالرحِمُ أهلُ ذلك منكم، وإن تصبروا ففي ثواب الله خلفٌ من المصيبة. عظَّم الله أجركم[١٣٤].

ويعزّي بعضُ الناس بعضًا فيقولون:
عظَّم الله أجركم، وأحسنَ عزاءكم، وغفرَ لميّتكم.

وبلغَ الإمامَ الشافعيَّ أن عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابنٌ فجزعَ عليه عبدالرحمن جزعًا شديدًا، فبعث إليه الشافعي رحمه الله:

---

(١٣٣) الحديث في صحيح البخاري (٧٣٧٧)، وصحيح مسلم (٩٢٣)، في قصة. ولفظهما سواء.
(١٣٤) التعازي والمراثي ص ٢٠٨.

يا أخي، عزِّ نفسكَ بما تعزّي به غيرك، واستقبح مِن فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضَّ المصائب فقدُ سرور، وحرمانُ أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ فتناولْ حظَّك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك، ألهمكَ الله عند المصائب صبرًا، وأحرزَ لنا ولك بالصبر أجرًا[١٣٥].

ولما توفيت الياقوتة بنت المهدي جزع عليها جزعاً لم يسمع بمثله، فجلس للناس يعزُّونه، وأمر ألّا يحجب عنه أحد، فأكثر الناس في التعازي، واجتهدوا في البلاغة، فأجمعوا أنهم لم يسمعوا تعزية أوجزَ ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شبَّة، فإنه قال:

أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزئت أجراً، وأعقبك خيراً ولا أجهدَ بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثوابُ الله خيرٌ لك منها، ورحمة الله خير لها منك، وأحقُّ ما صُبر عليه ما لا سبيل إلى ردِّه[١٣٦].

---

(١٣٥) الأذكار للنووي ص ١٥١.

(١٣٦) تسلية أهل المصائب ص ١٢٧.

وهل من الممكنِ أن يجبرَ المرءُ خاطره، ويطيِّبَ قلبَه، ويواسيَ نفسه؟!
نعم! كحالِ الفقير، والقبيح!
ففي حديث أبي هريرة المتفقِ عليه قوله ﷺ:
"**إذا نظرَ أحدُكم إلى مَن فُضِّلَ عليه في المالِ والخَلق، فلينظرْ إلى من هو أسفلَ منه**"(١٣٧).
والمقصود بالخَلق: تناسبُ الشكل والهيئة، فقد قضت حكمة الله بعدم المساواة بين العباد فيه.
ولما كانت النفوس لا تقنع بما أُعطيت، وكان هذا داءً يوجب استحقار النعم والتفريطَ في شكرها، أشار ﷺ إلى دواء هذا الداء بقوله "فلينظرْ إلى من هو أسفلَ منه"، أي: مَن هو دونه فيهما، فإنه إذا نظر إلى من هو دونه عَرف عظمة نعمة الله عليه، وهذا من الأدوية المجربة لدفع المكروه.
قال الصنعاني: وقيَّده في الحديث بالمال والخَلق للاحتراز إلى من ينظر مَن هو فوقه في العلم والدين وتكميلِ الأخلاق، فإنه لا يَنظر إلى مَن هو دونه منها؛ لئلا يحصل له إعجاب بنفسه، ويقصرَ عن لحاق أهل

(١٣٧) صحيح البخاري (٦٤٩٠)، صحيح مسلم (٢٩٦٣). واللفظ للأول.

الكمالات الدينية فيما فُضِّلوا به في الدين، وليزجرَ نفسَهُ ويلومَها في تأخرها عن اللحوق بالصالحين، وإعراضها عن ادِّخار ما فيه حظُّها الأخروي(١٣٨).

العفو والاعتذار

والاعتذار للناس ومسامحتهم والعفو عن أخطائهم، منها غير المقصودة، هو من جبر الخاطر، ومراعاة الشعور، والخُلق العالي، وهو باب طويل.

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [سورة آل عمران: ١٥٩].

أي: فاعفُ عنهمْ ما صدرَ منهم مِن تقصيرٍ في حقِّكَ كما عفا اللهُ عنهم...

وقال الله تعالى في مسألة من مسائل الطلاق وما يتعلق بحقوق الزوجين في الصداق:

---

(١٣٨) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٢٢٤).

{وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ} [سورة البقرة: ٢٣٧].

أي: إذا عفوتُم جميعاً فإنه أقربُ إلى ما يُرضي الله...

ولا تنسَوا السَّماحةَ والإحسانَ فيما بينكم، بما يوافقُ الأخلاقَ العالية..

××× ××× ×××

وقال رسولُ الله ﷺ:

"**ما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا**"(١٣٩).

قال أبو العباس القرطبي: فيه وجهان:

أحدهما: ظاهره، فإن من عُرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب.

والثاني: أن يكون أجره وثوابه وجاهه وعزُّه في الآخرة أكثر(١٤٠).

وعفا رسولُ الله ﷺ عن أهل مكة عند فتحها، إلا بعض الخطرين منهم:

---

(١٣٩) صحيح مسلم (٢٥٨٨).

(١٤٠) سنن أبي داود (٢٦٨٣) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده حسن.

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لما كان يومُ فتحِ مكة **أمَّن رسول الله ﷺ الناسَ إلا أربعة نفرٍ وامرأتين.**

××× ××× ×××

والحلماء أكثر من يعفون ويتسامحون.

كما في مواقف لمعاوية خليفة المسلمين، وقد قال مرة:

يا بني أمية، قارعوا قريشًا بالحِلم، فوالله إن كنتُ لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتمًا وأوسعه حِلمًا، فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني، وأثيره فيثور معي، وما دفع الحِلم عن شريفٍ شرفَه ولا زاده إلا كرمًا(١٤١).

وأغلظ رجل لمعاوية، فقال له ناصحًا:

أنهاك عن السلطان، فإن غضبهُ غضبُ الصبيّ، ويأخذُ أخذَ الأسد(١٤٢)

---

(١٤١) حلم معاوية (١٨).

(١٤٢) تاريخ دمشق ١٨٢/٥٩.

وشتم رجلٌ الأحنف بن قيس، وجعل يتبعه حتى بلغ حيَّه، فقال الأحنف:

يا هذا، إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقَى ما تكره[١٤٣].

وقال له رجل: لتسمعنَّ عشرًا.

فقال الأحنف له: لبيك، لئن قلتَ عشرًا لم تسمع واحدة[١٤٤].

وحكي أن امرأة وقفت للمأمون على الطريق وقد تحفظت كلاماً، سجعته ورتبته لتدعو له وبه وتستميحه فيه، فانقلب لسانها بالدعاء عليه على السجع الذي رتبته وهيأته، فعلم المأمون أنها غالطة، فقال: الله يفعل بنا ما نويته لا ما أبديته، اقضوا حاجتها[١٤٥].

---

(١٤٣) عيون الأخبار ١/ ٤٠٢.

(١٤٤) تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٣١.

(١٤٥) الهفوات النادرة لغرس النعمة.

وقع بين أبي مسلم الخراساني وبين قائد له كلام، فأربى عليه القائد إلى أن قال له: يا لقيط!

فأطرق أبو مسلم، فلما سكتت عنه فورة الغضب ندم، وعلم أنه قد أخطأ، واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتني، ولا نطقت حتى أنطقتني، فاغفر لي.

قال: قد فعلت.

فقال: إني أحبُّ أن أستوثق لنفسي.

فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنتَ تسيءُ وأُحسن، فلمّا أحسنتَ أُسيء؟(١٤٦).

وحكي عن معن بن زائدة أنه أُتي بجملة من الأسرى، فعرضهم على السيف، فقال له بعضهم: أصلح الله الأمير، نحن أسراك، وبنا جوع وعطش، فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل.

(١٤٦) عيون الأخبار ٣/ ١٢١.

فأمر لهم بطعام وشراب، فأكلوا وشربوا، ومعن ينظر إليهم، فلما فرغوا قال الرجل: أصلح الله الأمير، كنا أسراك، ونحن الآن أضيافك، فانظر ما تصنع بأضيافك.

قال: قد عفوت عنكم.

فقال الرجل: أيها الأمير، ما ندري أي يوم أشرف، يوم ظفرك بنا، أو يوم عفوك عنا.

فأمر لهم بمال وكسوة(١٤٧).

إدخال السرور

وإدخال السرور في قلوب الناس من جبر الخواطر، وعليه ثوابٌ عظيم. ويكون أعظم إذا كان في برِّ الوالدين وصلة الأقارب.

وهو أنواع، كالبشرى، والتهنئة، والكلام الطيب، والتودد، والمعروف، والدعاء، كتشميت العاطس... وهو من آداب الصالحين، وبه يكون شرحُ الصدر.

عن أبي هريرة قال:

---

(١٤٧) ثمرات الأوراق في المحاضرات ٢/ ١٦٧.

سُئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضل؟
قال: "**أن تُدخِلَ على أخيكَ المسلمِ سرورًا، أو تقضيَ عنه دَينًا، أو تُطعِمَهُ خبزًا**"(١٤٨).

والوجهُ الطلقُ يريحُ النفس ويدخل البهجة في القلب، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ:
"**لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقى أخاكَ بوجهٍ طلق**"(١٤٩).
قال الإمام النووي: فيه الحثُّ على فضل المعروف وما تيسَّر منه وإن قلّ، حتى طلاقة الوجه عند اللقاء(١٥٠).

وعن عبدالله بن الحارث بن جَزء، قال:

---

(١٤٨) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (١٧٢)، وفي قضاء الحوائج (١١٢)، وحسنه في صحيح الجامع (١٠٩٦). ويأتي بألفاظ مقاربة.
(١٤٩) صحيح مسلم (٢٦٢٦).
(١٥٠) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٧٧.

ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ الله ﷺ[١٥١].

ولأن البشرى محببة، وفيها افتتاح بالخير، ومخاطبة للمشاعر، وإدخالٌ للسرور في النفس، فقد ندب إليها رسول الله ﷺ، فقال:

"**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**"[١٥٢].

قال بدر الدين العيني رحمه الله:

المعنى: وبشِّروا الناس أو المؤمنين بفضل الله تعالى وثوابه، وجزيل عطائه وسعة رحمته...

قال: وهذا الحديث من جوامع الكلم، لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة، لأن الدنيا دار الأعمال، والآخرة دار الجزاء، فأمر رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل، وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والإخبار بالسرور، تحقيقًا لكونه رحمةً للعالمين في الدارين[١٥٣].

---

(١٥١) سنن الترمذي (٣٦٤١) وقال: حديث غريب. وصححه له في صحيح الترمذي. كما رواه أحمد في المسند (١٧٧٠٤) وحسنه الشيخ شعيب.

(١٥٢) صحيح البخاري (٦٩).

(١٥٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢/ ٤٧.

وفي برِّ الوالدين تطييب لخاطرهما، وإدخال للسرور في قلبيهما، ولهذا كثرت الأحاديث والآثار في الحثِّ على طاعتهما، وتعظيم مكانتهما، وتقديم ذلك على كثير من الطاعات.

حتى جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: "**أحيٌّ والداك**"؟ قال: نعم، قال: "**ففيهما فجاهد**"(١٥٤).

أي: إن كان لك أبوان فابلغ جهدك في برِّهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدوّ(١٥٥).

وجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: جئتُ أبايعُك على الهجرة، وتركتُ أبويَّ يبكيان.

فقال: "**ارجعْ إليهما فأضحكهُما كما أبكيتَهما**"(١٥٦).

---

(١٥٤) صحيح مسلم (٢٥٤٩)، صحيح البخاري (٥٩٧٢).

(١٥٥) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤٠٣.

(١٥٦) سنن أبي داود (٢٥٢٩)، صحيح ابن حبان (٤١٩) وقال الشيخ شعيب في الموضعين: إسناده صحيح.

قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعيَّن الجهاد فلا إذن[١٥٧].

××× ××× ×××

وأبصر أبو هريرة رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمِّه باسمه، ولا تمشِ أمامه، ولا تجلسْ قبله[١٥٨].

وكان رضي الله عنه بارًّا بوالدته، يحبها، ويطيِّب خاطرها..
وكان إذا دخل أرضه بالعقيق صاح بأعلى صوته: عليكِ السلام ورحمة الله وبركاته يا أُمَّتاه، تقول: وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته، يقول:

(١٥٧) فتح الباري لابن حجر ٦/ ١٤٠.
(١٥٨) الأدب المفرد (٤٤). وصححه في صحيح الأدب المفرد.

رحمكِ الله ربيتني صغيرًا، فتقول: يا بني، وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما برَرتني كبيرًا[١٥٩].

وقيل لمحمد بن المنكدر رحمه الله: أيُّ الدنيا أعجبُ إليك؟
قال: إدخالُ السرورِ على المؤمن[١٦٠].

وقال سفيان بن محمد المصيصي:
كان ابن عمر من أمزحِ الناسِ وأضحكه[١٦١]!

وقال يونس بن عبيد البصري:
كان محمد بن سيرين صاحبَ ضحكٍ ومُزاح[١٦٢].

---

(١٥٩) الأدب المفرد (١٤). وحسن إسناده في صحيح الأدب المفرد.
(١٦٠) الزهد لأحمد (٢١٣٩)، البر والصلة لابن الجوزي (٤٤٣)، قضاء الحوائج (٣٣) واللفظ منه.
(١٦١) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٣٤)، مداراة الناس (٦٦).
(١٦٢) اصطناع المعروف (٣٤)، مداراة الناس (٧١)، سير أعلام النبلاء ٦١٣/٤.

وقال أبو بكر الخوارزمي رحمه الله:
فليُعلم أن إدخال السرور في قلب الرجل المسلم من أعظم العبادات، وإقامةَ الكرم والإحسان من شيم أهل المروآت، طوبى لمن جرت على يديه الأمور الصالحات[١٦٣].

وإدخال السرور في القلوب فيه تحبب وتودد، وأُنس وتآلف، ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله:
التودُّدُ إلى الناس نصفُ العقل[١٦٤]!

وقال الأصمعي:
لما حضرتْ جدّي علي بن الأصمع الوفاةُ جمع بنيه فقال: أي بَنيّ، عاشِروا الناس معاشرةً إن عشتم حنُّوا إليكم، وإن متُّم بكَوا عليكم[١٦٥].

---

(١٦٣) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٣٦٠.
(١٦٤) مداراة الناس (٤٤).
(١٦٥) مداراة الناس (٣٥).

الندم

والاعترافُ بالخطأ والندمُ على الذنبِ وطلبُ المغفرةِ من الله تعالى هو من المشاعرِ الإنسانيةِ الإيجابيةِ لدى المرء، وقبولُ الله دعاءَهُ في هذا رحمةٌ منه به، وجبرٌ لخاطره، وهو كما حدثَ أولَ مرةٍ في حياةِ الإنسان، عندما شعرَ آدمُ عليه السلامُ بخطئهِ في تصديق الشيطان وطاعتهِ عندما كانا في الجنة، فندمَ وتاب، وقبلَ الله توبته. قال سبحانه:

{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [سورة البقرة:٣٧].

وقال سبحانه: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [سورة طه: ١٢٢].

أي: اصطفاهُ ربُّهُ ووفَّقَهُ للتوبة، فتابَ وأناب، فقبِلَ توبتَهُ ورَحِمَه، وأرشدَهُ إلى الثَّباتِ عليها.

التأذّي والحرَج

وفي الإيذاء جرحٌ للشعور، فيُتجنَّب.

وكان رسولُ اللهِ ﷺ حييًّا، يتأذَّى من أمورٍ ولا يُظهِرُ ذلك، ولكنْ بيَّنَ القرآنُ بعضَها، مثالهُ قولهُ سبحانه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً} [سورة الأحزاب: ٥٣].

أي: لا تدخلوا منازلَ رسولِ اللهِ ﷺ إلا أن تُدْعَوا إلى طعامٍ فيُؤذَنَ لكم لتأكلوه، غيرَ منتظرين نُضجَهُ واستواءَه، ولكنْ إذا دُعِيتُم فادخلوا وكُلوا، فإذا أكلتُم فتفرَّقوا واخرجوا مِن منزلِه، ولا تَجلِسوا لتستأنِسوا بالحديث، فإنَّ ذلكَ يَشُقُّ على النبيِّ لأمورٍ تخصُّهُ وأهلَه، وهو يستحيي أنْ يَطلُبَ منكم الانصراف، واللهُ لا يَترُكُ تأديبَكم وبيانَ الحقِّ حياءً.

وإذا أردتُم حاجةً مِن أزواجِه، فاطلبوها مِن وراء ستر، فهو أطهرُ وأطيبُ لقلوبِكم وقلوبِهنَّ من الشُّكوكِ والخواطرِ الشَّيطانيَّة.

ولا يَحِلُّ ولا يستقيمُ لكم أن تفعلوا ما يتأذَّى منه رسولُ اللهِ ﷺ ويَكرَهُهُ في شيءٍ من الأشياء، ولا أن تَنكِحوا زوجاتِهِ بعد وفاتهِ أبدًا، فإنَّ ذلك كان عند اللهِ أمرًا عظيمًا وذنْبًا كبيرًا.

والإيذاءُ الأكبرُ من هذا عندما يعاديهِ بعضُ الناسِ ويكذِّبونه، فقالَ الله فيهم:

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً} [سورة الأحزاب: ٥٧].

معناها: إنَّ الذين يؤذون الله، بالكفرِ به، أو الشِّركِ وما إليه، ويؤذون رسولَه، بتكذيبِه، والاستهزاءِ به، أو رميهِ بالكهانةِ وغيرِها ممّا يَمَسُّ نبوَّتَه، لعنَهمُ اللهُ وأبعدَهم مِن رحمتِه، في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرة، وهيَّأ لهم عذابًا مُذِلاً ومُهينًا في الآخِرة.

وكان المشركون يؤذونَ المسلمين بكلماتهم ومواقفِهم وهمزهم ولمزهم، ويجرحون مشاعرهم، ويستهزئون بعقيدتهم، كما قالَ الله تعالَى:

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [سورة المطففين: ٢٩- ٣٦].

بيانها:

إنَّ المشركينَ كانوا يستهزؤون بالمؤمنين ويحتقِرونَهم في الحياةِ الدُّنيا.

وإذا مرَّ المؤمنون بهم وهم في مجالسِهم، يُشيرون إليهم بأعينِهم استهزاءً وسُخرية.

وإذا رجعَ هؤلاءِ المجرمونَ إلى بيوتِهم، رجعوا مبتهِجين بما فعلوا، مستَمتِعين باستِخفافِهم بالمؤمنين!

وإذا رأوا أصحابَ النبيِّ ﷺ قالوا: هؤلاءِ زائغون منحرِفون، لكونِهم على غيرِ ملَّةِ الكُفر!

وما بُعِثَ هؤلاءِ المشركون رُقباءَ ووكلاءَ على المؤمنين حتَّى يَحفَظوا عليهم أعمالَهم وأحوالَهم، ويَشهَدوا برُشدِهم أو ضلالِهم، فلمَ يَشغَلونَ أنفسَهم بهم؟

ففي يومِ القيامةِ يَضحَكُ المؤمنونَ وهم في الجنَّةِ يَنعَمون، مِن الكفَّارِ وهم في الجحيمِ يُعَذَّبون، في مُقابِلِ ما كانَ يَسخَرُ منهم هؤلاءِ في الحياةِ الدُّنيا.

وهم جالِسون على الأسِرَّةِ المزيَّنة، يَنظُرون إلى الكفَّارِ وهم في حالِ ذُلٍّ وهَوانٍ وعذاب، بعدَ حياةِ التنعُّمِ والترفُّهِ في الدُّنيا.

هل عُوقِبَ الكافرونَ على استِهزائهم بالمؤمنين، وجُوزوا مِن جنسِ ما كانوا يَفعلون بهم؟ نعم.

ومن أنواعِ الإيذاءِ الذي نهى اللهُ تعالى المؤمنين أن يفعلوهُ مع رسولِ اللهِ ﷺ ما جاءَ في قولهِ سبحانه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً} [سورة الأحزاب: ٦٩].

أي: لا تكونوا كبعضِ بني إسرائيلَ الذين آذَوا نبيَّهم موسى بما آذَوهُ به، فأظهرَ اللهُ براءتَهُ وطهَّرَهُ مِن أذيَّتِهم وإفكِهم فيه، وكانَ ذا وجاهَةٍ ومَنزِلَةٍ وكرامَةٍ عند ربِّه، فلا تَفعَلوا مع نبيِّكم كما فعلَهُ أولئك، ولا تَسمَعوا أكاذيبَ المنافقينَ وشائعاتِهم فيه، لئلاّ تقعُوا في حبائلِهم وترتكِبوا محظورًا.

وفي الحديثِ الصحيح: "**كانتْ بنو إسرائيلَ يَغتَسلون عُراةً، يَنظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ، وكان موسى يَغتَسلُ وحدَه، فقالوا: واللهِ ما يَمنَعُ موسى أن يَغتَسلَ معَنا إلا أنه آدَرُ، فذهبَ مرةً يَغتسِلُ، فوَضعَ ثوبَهُ على حجَرٍ، ففرَّ الحجَرُ بثوبِه، فخرَجَ موسى في إثرِه يقول: ثوبي يا حجَرُ، حتى نظرَتْ بنو إسرائيلَ إلى موسى، فقالوا: واللهِ ما بموسى من بأس. وأخذَ ثوبَه، فطفِقَ بالحجَرِ ضربًا**"(١٦٦).

والآدر: المنفوخُ الخصية.

ويُكرَمُ الوالدان، ولا يُجرَحُ شعورُهما بكلمةٍ تؤلمهما. قالَ الله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} [سورة الإسراء: ٢٣].

أي: وصَّاكم اللهُ بالإحسانِ إلى الوالدَين وبِرِّهما، فإذا كَبِرا عندك، الأبوان أو أحدُهما، وقد أسقيَاكَ مِن روحَيهما حتَّى ضَعُفا، وكدَّا مِن أجلكَ

(١٦٦) صحيح البخاري (٢٧٨) واللفظ له، صحيح مسلم (٣٩).

حتَّى ذَبُلا وكادا أنْ يَفنَيا، وصِرتَ أنتَ القويَّ الذي تَكدَحُ وتُنفِق، فلا تتأفَّفْ منهما، ولا تَقُلْ لهما قولاً سيِّئاً تَجرَحُ به شعورَهما، ولا تَضِقْ بهما ولا تُهِنهُما، وقد ضَعُفا واحتَميا بك، بل طَيِّبْ خاطِرَهما، وقُلْ لهما كلامًا لَيِّنًا طيِّبًا محفوفًا بالأدبِ والتَّوقير.

كما يحدثُ الإيذاءُ للمسلمين أيضًا، فيقولُ الله بعدَ هذه الآية:
{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [سورة الأحزاب: ٥٨].
أي: الذين يؤذون المؤمنين بقولٍ أو فعلٍ، بغيرِ جنايةٍ يستحقُّونَها، أو يَنسِبون إليهم ما لم يفعلوهُ ولم يَقولوه، فقد قالوا كَذِبًا فظيعًا، وارتكبوا إثمًا ظاهرًا وفعلاً شنيعًا.

ومن صورِ الأذى كما وردَ في القرآنِ الكريم:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا

تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [سورة الحجرات: ١١].

أي: لا يَستَهزِئْ رجالٌ منكم برجالٍ آخَرين، ولا يَستَحقِروهم ولا يَستَهينوا بهم، فقد يكونُ المحتَقَرون أعظمَ قَدْرًا عند اللهِ وأحبَّ إليهِ مِن السَّاخِرين منهم والمحتَقِرين لهم. ولا يَستَهزِئْ نساءٌ مؤمناتٌ بنساءٍ مثلِهنّ، فعسَى أنْ يكنَّ خيرًا وأفضلَ قَدْرًا عند اللهِ منهنّ. ولا يَعِبْ بعضُكم بعضًا ولا يَطعَنْهُ، فاللَّمزُ ذِكرُ المعايبِ في حضرةِ الشَّخصِ أو غَيبَتِه. ولا يَدْعُ بعضُكم بعضًا بألقابٍ وكلماتٍ يَسُوؤهُ سماعُها، فبئسَ الذِّكرُ أنْ تَذكروا الرجلَ بالفسقِ بعد إيمانهِ وتوبتِه، وتُنادوهُ باسمٍ أو صفةٍ مكروهة، ومَن لم يَتُبْ عمَّا نُهيَ عنه، فأولئكَ همُ العاصُون، المخالِفون لأمرِ الله.

والذين يتصدَّقون فبنفسٍ طيبة، فلا يمتعِضون من السَّائلين ولا يتكبَّرون عليهم، ولا يعيّرونَهم ولا يتطاولون عليهم بكلامٍ لا يحبُّون سماعَهُ أو نَشره، بل يُعطونَهم بخُلقٍ طيّبٍ ونفسٍ راضية، فهؤلاءِ لهم أجرُهم الكبيرُ الموعودُ به عند ربِّهم.

ويقولُ سبحانه: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى} [سورة البقرة: ٢٦٣].

أي أن كلاماً حسناً لطيفاً تَقبَلهُ القلوب، ومسامحةً للسَّائلين على إلحاحِهم، أفضلُ مِن عطاءٍ يليهِ تطاولٌ عليهم وكلامٌ غيرُ مرغوب.

وذكَّر الله تعالى عبادَهُ المؤمنين فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ} [سورة البقرة: ٢٦٤].

أي: لا تَجعَلوا صدقاتِكم تذهبُ هباء، وذلك عندما تُتبِعونَها بالمنِّ والأذَى، فتَتكبَّرون عليهم وتعيّرونَهم بما لا يحبُّون، فإنَّ هذا الغلطَ منكم يُذهِبُ ثوابَ ما تصدَّقتم به.

وهذا مَثَلُ المنفقِ المرائي بصدَقتِه، الذي يُعطي ليَراهُ الناس، وهو لا يرجو من ورائهِ ثواباً مِن عندِ الله، ولا يؤمنُ باللهِ ولا بيومِ الجزاء (فهوَ مُنافق)، فهذا لا يؤجَرُ على فعلهِ مهما تصدَّق.

كما أن إخفاءَ الصدقةِ أفضل، لجانبٍ دينيّ، وآخرَ شخصيّ، فإنه يكونُ أكثرَ تقديرًا لشعورِ المتصدَّقِ عليه.

قال ربُّنا الحكيمُ في كتابه: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [سورة البقرة: ٢٧١].

أي: إذا أظهرتمُ الصَّدقاتِ أمامَ الناسِ فهو أمرٌ مرغوبٌ ولا حرجَ فيه، وخاصَّةً إذا ترتَّبَ على إظهارِها مصلحةٌ راجِحة، كأنْ يكونَ أداءً للزكاة، فإنَّ إظهارَها فيه معنَى الطَّاعة، وانتشارُ هذا الأمرِ وظهورهُ خير، وإذا أخفَيتم صدقاتِكم فهو أفضل، لأنَّه أبعدُ عن الرياءِ وشوائبِ النَّفس، وأقربُ إلى الإخلاصِ وطلبِ مرضاةِ الله.

وتراعى مشاعرُ المرأة أثناء الحيض ولا تؤذَى، فقد أمرَ الله بتجنب مجامعتها فيه، فإنه يسبب أذًى لها، وضَررًا وألماً، فلا تُجامَعُ حتى تَطهر. قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [سورة البقرة: ٢٢٢].

××× ××× ×××

ولا يؤذَى المسلمون، ولا تتَّبع أخطاؤهم..

عن ابن عمر قال: صعدَ رسولُ الله ﷺ المنبر، فنادَى بصوتٍ رفيع، فقال:

"يا معشرَ من أسلمَ بلسانهِ ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤذوا المسلمين، ولا تعيّروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورةَ أخيهِ المسلمِ تتبَّعَ الله عورتَه، ومن تتبَّع الله عورتَهُ يفضحهُ ولو في جوفِ رحله"(١٦٧).

لا تؤذوا المسلمين: أي الكاملين في الإسلام، وهم الذين أسلموا بلسانهم وآمنوا بقلوبهم.

ولا تعيّروهم: من التعيير، وهو التوبيخ. والتعييبُ على ذنب سبق لهم من قديم العهد، سواء على توبتهم منه أم لا. وأما التعيير في حال المباشرة أو بُعَيده قبل ظهور التوبة، فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحدُّ أو التعزير، فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١٦٧) رواه الترمذي (٢٠٣٢) وقال: حديث حسن غريب. واللفظ له، ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٦٣) وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده قوي. وصححه في صحيح الجامع (٧٩٨٥).

ولا تتَّبعوا عوراتهم: أي لا تجسَّسوا على عيوبهم فيما تجهلونها، ولا تكشفوها، فإنَّ من يطلب ظهورَ عيبِ أخيه المسلم، بخلاف الفاسق، فإن الله يكشف عيوبه، ومن تتبع الله عورته كشف مساوئه ولو كان في وسط منزله مخفيًّا من الناس(١٦٨).

ولا يخوَّفُ المسلم، فالأمانُ والسلامُ هو الأصلُ الجاري بين الإخوةِ في الدين.

قال رسولُ الله ﷺ: "**لا يَحلُّ لمسلمٍ أن يروِّعَ مسلمًا**"(١٦٩).

قال الصنعاني: لا يحلُّ لمسلم أن يُفزع مسلمًا ولو هازلًا، وهو المراد، إذ الجدُّ معلوم أنه لا يحلُّ له أن يفزع مسلمًا(١٧٠).

---

(١٦٨) مرقاة المفاتيح ٨/ ٣١٥٧ باختصار.

(١٦٩) سنن أبي داود (٧/ ٣٥٢) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح. وكذا قال في مسند أحمد (٢٣٠٦٤).

(١٧٠) التنوير شرح الجامع الصغير (١١/ ١٧٩).

ولا يحقَّرُ المسلمُ ولا يُستَصغرُ مهما كان شأنه، فإنه أخٌ لكلِّ مسلم، وحقُّهُ على المسلمين مثلُ حقوق الآخرين، ولو كان مريضًا أو محتاجًا زادت حقوقه عليهم.

وقد روى مسلم من حديث أبي هريرة المرفوع:

"**بحسْبِ امرئٍ من الشرِّ أن يَحقِرَ أخاهُ المسلمَ**"(١٧١).

قال ابن رجب رحمه الله: يعني يكفيه من الشرِّ احتقارُ أخيه المسلم، فإنه إنما يحتقرُ أخاهُ المسلمَ لتكبره عليه، والكِبْر من أعظم خصال الشرّ(١٧٢).

وقال ابن هبيرة: فيه تحذير، وأي تحذير من ذلك؛ لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه، ثم أحسن تقويم خَلقه، وسخَّر ما في الأرض جميعًا كله لأجله، وأسجد له الملائكة جميعهم، ثم إنه سبحانه سماه مسلمًا، ومؤمنًا، وعبدًا... فمن حقَّر مسلمًا من المسلمين فقد حقَّر ما عظَّمه الله، وكافيه ذلك حزنًا. وإن من احتقار المسلمِ المسلمَ ألّا يسلِّم عليه إذا

---

(١٧١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

(١٧٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٧٨.

مرَّ به، ولا يردَّ السلام عليه إذا بدأه هو به، وأن يراه دون أن يُدخله الله الجنة أو يبعده من النار[١٧٣].

والمطلوب من المسلم أن يقول خيرًا أو يسكت!

كما في حديثِ رسول الله ﷺ:

"**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فليقلْ خيرًا أو ليصمُت**"[١٧٤].

أمرٌ بقول الخير، وبالصمتِ عمّا عداه، وهذا يدلُّ على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمتُ عنه، بل إما أن يكون خيرًا فيكون مأمورًا بقوله، وإما أن يكون غير خيرٍ فيكون مأمورًا بالصمت عنه[١٧٥].

ووضح هذا الإمام النووي فقال: معناه أنه إذا أراد أن يتكلم، فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه، واجبًا أو مندوبًا، فليتكلم وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح

---

(١٧٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧/ ٢٧٦ مختصرًا.

(١٧٤) جزء من حديث رواه الشيخان: صحيح البخاري (٦٠١٨)، صحيح مسلم (٤٧).

(١٧٥) جامع العلوم والحكم ١/ ٣٣٥.

مأمورًا بتركه، مندوبًا إلى الإمساك عنه، مخافةً من انجراره إلى المحرَّم أو المكروه... وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات؛ لئلّا ينجرَّ صاحبُها إلى المحرَّمات أو المكروهات.

وقد أخذ الإمام الشافعي رضي الله عنه معنى الحديث فقال: إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر له فيه ضرر أوشكَّ فيه أمسك(١٧٦).

وأحاديث اللسان وأخباره كثيرة... والمهمُّ أن يُمسَكَ إلا مِن خير، كما ذكرنا؛ لئلَا يُجرَحَ به مسلم.

فقد قال عليه الصلاةُ والسلام:

"**ليس المؤمنُ بالطعَّان ولا اللعّان ولا الفاحشِ ولا البذيء**"(١٧٧).

والطعّان: الوقّاع في أعراض الناس، بنحو ذمٍّ أو غيبة.

---

(١٧٦) شرح النووي على مسلم ٢/ ١٩ مختصرًا.

(١٧٧) سنن الترمذي (١٩٧٧) وقال: حديث حسن غريب. ورواه أبو يعلى في مسنده (٥٠٨٨) وقال محققه: إسناده حسن، كما رواه ابن حبان في صحيحه (١٩٢) وقال محققه: حديث صحيح.

واللعّان: الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة ربِّهم، إما صريحًا أو كناية.

والفاحش: ذو الفحش في كلامه وأفعاله.

والبذيء: الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقًا(١٧٨).

وعن عمرَ بنِ الخطاب، أن رجلًا على عهد النبيّ ﷺ كان اسمه عبدالله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتيَ به يومًا فأَمَرَ به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهمَّ العنه، ما أكثرَ ما يؤتَى به؟

فقال النبي ﷺ: "**لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إنه يحبُّ اللهَ ورسولَه**"(١٧٩).

وفي رواية: "لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم". ووجه عونهم الشيطان بذلك، أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصلَ له الخزيُ، فإذا دعَوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصَّلوا مقصود الشيطان...

---

(١٧٨) ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٢١.

(١٧٩) صحيح البخاري (٦٧٨٠).

ويستفاد من ذلك منعُ الدعاء على العاصي بالإبعاد عن رحمة الله، كاللعن[١٨٠].

ومن ذلك السبّ، فلا شكَّ أنه جرحٌ للمشاعر، بل أشدّ.

وقد قال الرسولُ عليه الصلاةُ والسلام:

"**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**"[١٨١].

والسبُّ في اللغة الشتمُ والتكلمُ في عِرض الإنسان بما يعيبه.

والفِسق في اللغة الخروج، والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة.

وأما معنى الحديث، فسبُّ المسلمِ بغير حقٍّ حرامٌ بإجماع الأمة، وفاعله فاسق، كما أخبر به النبيُّ ﷺ.

وأما قتاله بغير حقٍّ فلا يكفر به عند أهل الحق كفرًا يَخرج به من الملة، إلا إذا استحلَّه، فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال، أحدها: أنه في المستحِلّ، والثاني: أن المراد كفرُ الاحسان والنعمةِ وأخوَّةِ الإسلام

(١٨٠) فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٦٧.

(١٨١) صحيح البخاري (٤٨)، صحيح مسلم (٦٤).

لا كفر الجحود، والثالث: أنه يؤوَّل إلى الكفر بشؤمه، والرابع: أنه كفعل الكفّار.

وتتميمًا للفائدة قال الإمام النووي في موضع آخر: لا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبَّه ما لم يكن كذبًا أو قذفًا أو سبًّا لأسلافه، فمن صور المباح أن ينتصر بـ: يا ظالم، يا أحمق، أو جافي، أو نحو ذلك؛ لأنه لا يكاد أحد ينفكُّ من هذه الأوصاف. قالوا: وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول من حقه، وبقي عليه إثم الابتداء، أو الإثم المستحقُّ لله تعالى (١٨٢).

وأولياءُ الله مُكرَمون عنده، ومن آذاهم فلينتظروا عقوبة وغضبًا من الله.

ورد في الحديث القدسي، من رواية أبي هريرة:

"**إن الله قال: من عادَى لي وليًّا فقد آذنتهُ بالحرب**"(١٨٣).

يعني: فقد أعلمتهُ بأني محارب له، حيث كان محاربًا لي بمعاداة أوليائي.

---

(١٨٢) شرح النووي على مسلم ٢/ ٥٣، ١٤١/١٦.

(١٨٣) صحيح البخاري (٦٥٠٢). وهو من أفراده. وهو في السلسلة الصحيحة (١٦٤٠) صحيح بمجموع طرقه، صحيح الجامع (١٧٨٢).

قال ابن رجب رحمه الله: فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم[١٨٤].

وقال شارح له: أي أعلمتهُ بمحاربته ومعاداته معي، أو بأني سأحاربه، وأقهره، وأنتصر منه، وأنتقم له[١٨٥].

قال ابن هبيرة: ووليُّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي يتَّبع شرع الله[١٨٦].

وأفصح المظهري في هذا فقال: أولياء الله هم المطيعون له، وليس المراد بالولي هنا: الولي المعهود بين المشايخ، بل كل متَّقٍ داخلٌ في هذا الحديث؛ لقوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [سورة الجاثية: ١٩] [١٨٧].

وتراعى مشاعرُ المصلّي، فلا يشوَّشُ عليه في صلاتهِ ومناجاتهِ ربَّه.

عن أبي سعيد الخدري قال:

اعتكفَ رسولُ الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءةِ وهو في قبَّةٍ له، فكشفَ الستورَ وقال:

---

(١٨٤) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٣٤.

(١٨٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٣٣٩.

(١٨٦) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧/ ٣٠٣.

(١٨٧) المفاتيح في شرح المصابيح ٣/ ١٣٦.

"**إن كلَّكم مناجٍ ربَّه، فلا يؤذينَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفعنَّ بعضُكم على بعضٍ بالقراءة**" أو قال: "**في الصلاة**"(١٨٨).

قال ابن رسلان المحلي رحمه الله: فيه إنكار رفع الصوت في المسجد ولو بالقراءة، إذا كان فيه تشويش على مصلٍّ آخر، أو قارئ آخر، فإنه مكروه(١٨٩).

وما يصيبُ المسلمَ من أذى فإنه يكافأُ به.

قال عليه الصلاةُ والسلام: "**ما يصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَب، ولا همٍّ ولا حَزَن، ولا أذًى ولا غمّ، حتى الشوكةِ يُشاكُها، إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه**"(١٩٠).

---

(١٨٨) مسند أحمد (١١٨٩٦). قال محققوه بإشراف الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين، السنن الكبرى للنسائي (٨٠٣٨)، سنن أبي داود (١٣٣٢) قال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن، المستدرك للحاكم (١١٦٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(١٨٩) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٦/ ٥١٥.

(١٩٠) صحيح البخاري (٥٦٤١) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

كما روت عائشة رضيَ الله عنها قولَهُ ﷺ: "**إن الصالحين قد يُشدَّدُ عليهم، وإنه لا يصيبُ مؤمنًا نكبةٌ، من شوكةٍ فما فوقها إلا حُطَّتْ عنه بها خطيئة، ورُفِعَ له بها درجة**"(١٩١).

والنصَب: التعب، والوصَب: الوجع.

فذاك ينبئ أنه لا يشاكُ المسلمُ شوكةً فما فوقها إلا كانت حاطَّةً عنه خطيئة، أو رافعةً له درجة، فإذا كان جزاء العبد في دنياه بما سبق له من خطيئة، كان ذلك تطهيرًا له(١٩٢).

وفيه تسلية بالغة، وإعلامٌ بأنه لا ينالُ العبدَ شيءٌ إلا كفَّر الله عنه من خطاياه(١٩٣).

وعِظم الأجرِ بعظمِ النكبة(١٩٤).

---

(١٩١) مسند أحمد (٢٥٢٦٤) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات، صحيح ابن حبان (٢٩١٩)، المستدرك للحاكم (٧٩٠١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٩٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ١٩٣.

(١٩٣) التنوير شرح الجامع الصغير ٧/ ٥٧٥.

(١٩٤) المصدر السابق ٣/ ٥٥٣٠.

والطريق من المنافع العامة، ولكن كثيرًا ما نجد جالسين على أطرافه يضيّقونه، أو يؤذون الناسَ بكلامهم وتعليقاتهم، ولهذا جاء حديث رسولِ الله ﷺ:

"**إياكم والجلوسَ على الطرقات**".

ولما قالوا إنه لا بدَّ لهم منها، قال لهم عليه الصلاةُ والسلام:

"**فإذا أبيتُم إلا المجالسَ فأعطُوا الطريقَ حقَّها**".

قالوا: وما حقُّ الطريق؟

قال: "**غَضُّ البصر، وكفُّ الأذَى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر**"(١٩٥).

قال الإمام النووي: ويدخل في كفِّ الأذى اجتنابُ الغيبة، وظنُّ السوء، وإحقارُ بعضِ المارّين، وتضييقُ الطريق. وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابُهم المارُّون، أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك؛ لكونهم لا يجدون طريقًا إلا ذلك الموضع(١٩٦).

---

(١٩٥) صحيح البخاري (٢٤٦٥) واللفظ له، صحيح مسلم (٢١٢١).

(١٩٦) شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٠٢.

وما أروع أن يحبسَ المرءُ غضبَهُ في جوفه حتى لا يتكلمَ بسوءٍ فيؤذيَ أخاه المسلم!

قال رسول الله ﷺ:

"**ما من جُرعةٍ أعظمُ أجرًا عند الله من جُرعةِ غَيظٍ كظمَها عبدٌ ابتغاءَ وجهِ الله**"(١٩٧).

فحبسُ الغيظِ أحبُّ جرعة يتجرَّعها العبد، وأعظمُها ثوابًا، وأرفعُها درجة، كحبسِ نفسهِ من التشفّي، ولا يحصل هذا الحبُّ إلا بكونه قادرًا على الانتقام، ويكنُّ غضبَهُ لله بنيةِ سلامة دينه ونيل ثوابه(١٩٨).

قال الصنعاني رحمه الله: وهو حثٌّ على إخفاء الغيظ وإن امتلأ منه قلبهُ امتلاءَ القِربةِ من الماء(١٩٩).

ومن صورِ التأذي إهانةُ العبيدِ أو الخدمِ والعمال، والسخريةُ منهم، وهذا تصحيحٌ وتوضيحٌ لكيفيةِ التعامل معهم:

---

(١٩٧) سنن ابن ماجه (٤١٨٩) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، كما صححه في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٩٦).

(١٩٨) فيض القدير للمناوي ٥/ ٤٧٦.

(١٩٩) التنوير شرح الجامع الصغير ٩/ ٤٦٠.

فعن المعرور بن سويد قال:

رأيتُ أبا ذرٍّ وعليه حُلَّة، وعلى غلامهِ مثلُها، فسألتهُ عن ذلك، قال: فذكرَ أنه سابَّ رجلًا على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فعيَّرَهُ بأمِّه، قال: فأتَى الرجلُ النبيَّ ﷺ، فذكرَ ذلك له، فقالَ النبيُّ ﷺ:

"**إنكَ امرؤٌ فيكَ جاهلية، إخوانُكم وخوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوهُ تحت يديه، فليطعمهُ ممّا يأكل، وليُلْبِسْهُ مما يَلبَس، ولا تكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتموهم فأعينُوهم عليه**"(٢٠٠).

والخوَلُ هم الخدم، سمُّوا بذلك لأنهم يتخوَّلون الأمور، أي يصلحونها، ومنه الخولي لمن يقوم بإصلاح البستان.

وقوله: عيَّرته، أي نسبته إلى العار، والعار: العيب.

وفي تقديم لفظ إخوانكم على خولكم إشارة إلى الاهتمام بالأخوَّة.

وقوله: تحت أيديكم، مجاز عن القدرة أو الملك.

---

(٢٠٠) صحيح البخاري (٣٠)، صحيح مسلم (١٦٦١) واللفظ له.

قوله: فليطعمه مما يأكل، أي من جنس ما يأكل. والمراد المواساة، لا المساواة من كل جهة، لكن مَن أخذ بالأكمل كأبي ذرٍّ فعلَ المساواة، وهو الأفضل، فلا يستأثر المرء على عياله من ذلك، وإن كان جائزًا.

ولا تكلفوهم ما يَغلبهم: أي عملُ ما تصيرُ قدرتهم فيه مغلوبة، أي: ما يعجزون عنه لعظمه أو صعوبته.

والتكليف: تحميل النفس شيئًا معه كُلفة، وقيل: هو الأمر بما يشقّ.

قوله: فإن كلفتموهم، أي ما يغلبهم. والمراد أن يكلَّفَ العبدُ جنسَ ما يَقدر عليه، فإن كان يستطعيه وحده، وإلا فليُعِنه بغيره.

وفي الحديث النهيُ عن سبِّ الرقيق، وتعييرِهم بمن وَلدَهم.

والحثُّ على الإحسان إليهم والرفقِ بهم. ويلتحق بالرقيق مَن في معناهم مِن أجيرٍ وغيره.

وفيه عدم الترفع على المسلم والاحتقارُ له.

وفيه المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإطلاق الأخ على الرقيق، فإن أريدَ القرابة فهو على سبيل المجاز لنسبة الكل إلى آدم، أو المراد أخوة الإسلام(٢٠١).

---

(٢٠١) فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٧٤) مختصرًا.

والكلام الثقيل وبعض مواقف الثقلاء وتصرفاتهم تحطم المشاعر وتضيِّق النفس وتضجر!

وأخبارهم كثيرة، صنفت فيها كتب!

ومن ألوان الثقل التقعر في الكلام والتفصح فيه..

وقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ:

"**إن الله عزَّ وجلَّ يَبغضُ البليغَ من الرجال، الذي يتخلَّلُ بلسانهِ تخلُّلَ الباقرةِ بلسانها**"(٢٠٢).

قال ابن الأثير رحمه الله: هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفُّه كما تلفُّ البقرة الكلأ بلسانها لفًّا(٢٠٣).

وقال الملا علي القاري: البليغ: المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته(٢٠٤).

---

(٢٠٢) سنن أبي داود (٥٠٠٥) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده حسن، وكذا قال في مسند أحمد (٦٥٤٣)، ورواه الترمذي في السنن (٢٨٥٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٢٠٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٣.

(٢٠٤) مرقاة المفاتيح ٧/ ٣٠٢٠.

وتجنبًا للشعور بالعظمة، وجبرًا لخواطر الأرقّاء، ومراعاة لشعورهم، لا يقالُ لأحدهم (عبدي).

قال عليه الصلاةُ والسلام:

"**لا يقلْ أحدُكم: عبدي، أَمَتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي**"(٢٠٥).

××× ××× ×××

ويتأذَّى الناسُ بتصرفات وعادات وأصناف من الناس، كالبخلاء، والثقلاء، والطفيليين..

مثال البخل:

كان النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات:

(٢٠٥) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٢٥٥٢). واستنتاج (جبر الخواطر) من قبل المؤلف، وليس من شرّاح الحديث.

"اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من البخل، والكسل، وأرذلِ العمر، وعذابِ القبر، وفتنةِ المحيا والممات"[٢٠٦].

وقال عليه الصلاة والسلام:

"لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودخانُ جهنمَ في جوفِ عبدٍ أبدًا، ولا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا"[٢٠٧].

وعوتب بخيل في قلة الضحك وشدة القطوب، فقال: إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقربُ ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه!**!**[٢٠٨].

ومن أخبار الثقلاء:

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلًا قال: اللهمَّ اغفر له وأرحنا منه[٢٠٩].

---

(٢٠٦) صحيح البخاري (٤٧٠٧)، صحيح مسلم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٢٠٧) سنن النسائي (٣١١٠) وصححه له في صحيح سنن النسائي.

(٢٠٨) البخلاء للجاحظ ص ١٦٤.

(٢٠٩) عيون الأخبار ١/ ٤٢٧.

قال سفيان الثوري: إنه ليكون في المجلس عشرةٌ كلهم يخفُّ عليّ، فيكون منهم الرجل أستثقله فيثقلون عليّ[٢١٠]!

وقال الأديب عبدالله بن محمد الإسحاقي: كنت يومًا عند الأديب أبي بكر بن أحمد العيدي، وقد دخل عليه جماعة فأطالوا القعود عنده، فأملى عليّ:

مَن مُجيري من الجبال الراوسي شغلوني وضيَّقوا أنفاسي
آنسوني بالقرب منهم وما الـ ـوحشةُ إلا في ذلك الإيناسِ[٢١١]

ومن أخبار التطفيل:

جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب، فقال لغلام له قصاب: اجعلْ لي طعامًا يكفي خمسة، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة، فإني قد عرفتُ في وجههِ الجوع.

---

(٢١٠) ذم الثقلاء لابن لمرزبان ص ٥١، أخبار الثقلاء للخلال (١٨).

(٢١١) إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء للسيوطي.

فدعاهم، فجاء معهم رجل، فقال النبي ﷺ:

"**إنَّ هذا قد تَبِعنا، فإن شئتَ أن تأذنَ له فأْذَنْ له، وإن شئتَ أن يَرجِعَ رَجَع**".

فقال: لا، بل قد أذنتُ له(٢١٢).

قال ابن حجر: فيه أن من تطفَّل في الدعوة كان لصاحب الدعوة الاختيار في حرمانه، فإن دخل بغير إذنه كان له إخراجه، وأن من قصد التطفيل لم يُمنع ابتداء؛ لأن الرجل تبع النبيَّ ﷺ فلم يردَّه، لاحتمال أن تطيب نفس صاحب الدعوة بالإذن له(٢١٣).

قال بكر بن عبدالله: إن أحقَّ الناس بلطمة من أتى طعامًا لم يُدعَ إليه، وإن أحقَّ الناس بلطمتين من يقول له صاحب المنزل: اجلس ههنا، فيقول: لا بل أجلس ههنا، وإن أحقَّ الناس بثلاث لطمات من دُعي إلى طعامٍ فقال لصاحب البيت: ادعُ ربَّة البيت تأكل معنا!(٢١٤).

---

(٢١٢) صحيح البخاري (٢٠٨١).

(٢١٣) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٥٦٠.

(٢١٤) التطفيل وحكايات الطفيليين ص ٦٧.

وقال بعضهم:

أتيتُ ابنَ يحيى وهو يأكل فانثنى إليّ قَطوباً إذ رآني وهمهما

وقال لماذا جئت؟ قلتُ مسلِّماً فقال لقد سلَّمتَ فارجعْ مثلَما[٢١٥]

ومن صور الأذى أيضًا:

ثبت أن عائشة رضي الله عنها نهت على الضحك في المصيبة، لأن فيه إشماتاً بالمسلم، وكسراً لقلبه.

ولهذا رأى الإمام أحمد رجلاً يضحك في جنازة، فهجره وقال: أي موعظةٍ اتعظ هذا؟[٢١٦].

التعريض بالأذى

ومن صنوفِ الإيذاء التعريضُ به، يعني أن المرءَ قد يقولُ كلامًا يُفهَمُ منه الإساءةُ إلى شخص، بتلميح، أو إشارة، أو كنايةٍ وضربِ مثل!

---

(٢١٥) غرر الخصائص الواضحة ص ٣٦٨.

(٢١٦) تسلية أهل المصائب ص ١٢٠.

وورد أن أميرَ المؤمنين عمر رضي الله عنه كانَ يضربُ في التعريضِ الحدَّ، وأنهُ كان يَحُدُّ في التعريضِ بالقذف(٢١٧).

فألفاظ القذف معروفة، كأن يقول: يا زاني، وتعريضًا يقول: ما أنا بزان.

وفيه اختلاف فقهاء، ففي المذهب الشافعي لا يعتبر التعريض بالقذف قذفًا. وهو قول الجمهور(٢١٨).

(٢١٧) ينظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٤٤٦/٢٥، عمدة القاري ٢٢/٢٤.

(٢١٨) ينظر شرح النووي على مسلم ١٣٤/١٠، فتح الباري ٤٤٣/٩.

فهرس المراجع[٢١٩]

إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء/ السيوطي؛ تحقيق عبدالعزيز المانع، مجلة عالم الكتب، رجب ١٤٠٣ هـ.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ ابن بلبان الفارسي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨ هـ.

أخبار الثقلاء/ الخلال؛ تحقيق نظام يعقوبي.- بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٧ هـ.

الإخوان/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩ هـ.

الأدب المفرد/ البخاري؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- ط٣.- بيرو: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.

الأذكار/ النووي؛ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط.- بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ القسطلاني.- القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٢٣ هـ.

---

[٢١٩] مراجع التحقيق ومعلوماتها معظمها من المكتبة الشاملة.

اصطناع المعروف/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢ هـ.

الإفصاح عن معاني الصحاح/ يحيى بن هبيرة الشيباني؛ تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد.- الرياض: دار الوطن، ١٤١٧ هـ.

إكمال المعلم بفوائد مسلم/ القاضي عياض.- تحقيق يحيى إسماعيل.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٩ هـ.

البخلاء/ الجاحظ.- ط٢.- بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٩ هـ.

بذل المجهود في حل أبي داود/ خليل أحمد السهارنفوري؛ تحقيق تقي الدين الندوي.- الهند: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث، ١٤٢٧ هـ.

البر والصلة/ ابن الجوزي؛ تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض.- بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ هـ.

تاريخ دمشق/ ابن عساكر؛ تحقيق عمرو بن غرامة العمروي.- بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

تسلية أهل المصائب/ المنبجي.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ.

التطفيل وحكايات الطفيليين/ الخطيب البغدادي؛ بعناية بسام الجابي.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ.

التعازي والمراثي/ المبرد؛ تحقيق إبراهيم محمد الجمل.- القاهرة: نهضة مصر.

التنوير شرح الجامع الصغير/ الأمير الصنعاني؛ تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم.- الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢ هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ أبو الحجاج المزي؛ تحقيق بشار عواد معروف.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح/ ابن الملقن؛ تحقيق دار الفلاح للبحث.- دمشق: دار النوادر، ١٤٢٩هـ

التيسير بشرح الجامع الصغير/ المناوي.- الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨ هـ.

الثبات عند الممات/ ابن الجوزي؛ تحقيق عبدالله الليثي.- بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦ هـ.

ثمرات الأوراق/ ابن حجة الحموي.- القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية (طبع مع كتاب المستطرف)

جامع العلوم والحكم/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس.- ط٧.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ هـ.

الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة/ السخاوي؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١ هـ.

حاشية السندي على سنن ابن ماجه: كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه/ السندي.- ط٢.- بيروت: دار الجيل.

حسن الظن/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مخلص محمد.- الرياض: دار طيبة، ١٤٠٨ هـ.

حلم معاوية/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق إبراهيم صالح.- دمشق: دار البشائر، ١٤٢٤ هـ.

ذم الثقلاء/ ابن المرزبان؛ تحقيق مأمون محمود ياسين.- دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٢ هـ.

الزهد/ أحمد بن حنبل؛ تحقيق محمد عبدالسلام شاهين.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ (وطبعات أخرى).

السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني.

سنن ابن ماجه/ تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠ هـ.

سنن أبي داود/ تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي.- دمشق: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

سنن الترمذي/ تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عطوة عوض.- القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٥ هـ.

السنن الكبرى للنسائي/ تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.

سنن النسائي (الصغرى)/ باعتناء عبدالفتاح أبو غدة.- ط٢.- حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.

سير أعلام النبلاء/ شمس الدين الذهبي؛ تحقيق مجموعة من المحققين؛ إشراف شعيب الأرناؤوط.- ط٣.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ.

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ.

شرح سنن أبي داود/ ابن رسلان الرملي.- تحقيق باحثين من دار الفلاح.- الفيوم: دار الفلاح، ١٤٣٧هـ.

شرح صحيح البخاري/ لابن بطال؛ تحقيق ياسر إبراهيم.- الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.

شرح مصابيح السنة/ ابن الملَك؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين.- الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣ هـ.

شرح النووي على صحيح مسلم.- ط٢.- بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢ هـ.

شعب الإيمان/ البيهقي؛ تحقيق عبدالعلي عبدالحميد حامد.- بومباي: الدار السلفية، ١٤٢٣ هـ.

الصبر والثواب عليه/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.

صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
صحيح الأدب المفرد/ محمد ناصر الدين الألباني.- ط٤.- الطائف: دار الصدّيق، ١٤١٨ هـ.
صحيح البخاري/ تحقيق محمد زهير الناصر.- دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
صحيح الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني.- بيروت: المكتب الإسلامي.
صحيح مسلم/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
صفة الجنة/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم.- القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
الصمت وآداب اللسان/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق أبي إسحاق الحويني.- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠ هـ.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ بدر الدين العيني.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
عيون الأخبار/ عبدالله بن قتيبة الدينوري.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.
وطبعة دار الكتب المصرية.
غرر الخصائص الواضحة/ الوطواط؛ تحقيق إبراهيم شمس الدين.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري/ ابن حجر العسقلاني؛ ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي؛ تصحيح محب الدين الخطيب.- بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.

الفرج بعد الشدة/ التنوخي؛ تحقيق عبود الشالجي.- بيروت: دار صادر، ١٣٩٨ هـ.

الفرق بين النصيحة والتعيير/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق علي حسن عبدالحميد.- عمّان: دار عمّار، ١٤٠٩ هـ.

فيض القدير شرح الجامع الصغير/ محمد عبدالرؤوف المناوي.- القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

قضاء الحوائج/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢ هـ.

المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري/ السفيري؛ تحقيق أحمد فتحي عبدالرحمن.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ.

المحتضرين/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧ هـ.

مداراة الناس/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.

المدخل إلى السنن/ البيهقي؛ تحقيق محمد ضياء الدين الأعظمي.- الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

المرض والكفارات/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق عبدالوكيل الندوي.- بومباي: الدار السلفية، ١٤١١ هـ.

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ المباركفوري.- بنارس، الهند: الجامعة السلفية، ١٤٠٤ هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الملا علي القاري الهروي.- بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

المستجاد من فعلات الأجواد/ التنوخي.

المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري.- القاهرة: دار التأصيل، ١٤٣٥ هـ. (وغيرها).

مسند أبي يعلى الموصلي/ تحقيق حسين سليم أسد.- دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ

مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.- دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.

معالم السنن: وهو شرح سنن أبي داود/ الخطابي.- حلب: المطبعة العلمية، ١٣٥١ هـ.

المفاتيح في شرح المصابيح/ المظهري؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين.- الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣هـ

المفاتيح في شرح المصابيح/ المظهري؛ تحقيق لجنة مختصة من المحققين.- الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣هـ

مفيد العلوم ومبيد الهموم/ المنسوب لأبي بكر الخوارزمي.- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨ هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين ابن الأثير الجزري؛ تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ.

الهفوات النادرة/ غرس النعمة؛ تحقيق صالح الأشتر.- دمشق: مجمع اللغة العربية.

الواضح في التفسير/ محمد خير رمضان يوسف.- القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٣٤ هـ.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٣

الجزاء الحسن ٦

الكلام الحسن.. ..... ٧

أدب التعريضِ والتغافل.. .....١٦

الرفق.. .....١٧

الرحمة والشفقة ١٩

الفقراء والمتضررون ٢٣

مراعاة حظوظ النفس فيما هو مباح ٢٦

حبُّ الذرّية ومراعاة المشاعر ٣٠

مراعاة الحال ٣١

منازل الناس وأصحاب الهيئات ٤٦
الضعفاء ٤٩
صور من مراعاة المشاعر ٥٥
صور من جبر الخواطر ٦٥
تطييب القلب ٧٧
تفريج الكرب (الفرَج بعد الشدَّة) ٨٢
اصطناع المعروف ٨٧
قضاء الحوائج ٨٨
الأمراض ٨٩
المواساة ٩٢
العفو والاعتذار ٩٩
إدخال السرور ١٠٤
الندم ١١١
التأذي والحرج ١١١

التعريض بالأذى ١٤١
المراجع ١٤٣
الفهرس ١٥٢